الوسطية والاعتدال في الفكر الأشعري

(أنماط ونماذج)

إعداد

د. عبد المنعم فتحي عوض مهني

الأستاذ المساعد في قسم العقيدة والفلسفة بكلية البنات

الأزهرية بالمنيا الجديدة

الوسطية والاعتدال في الفكر الأشعري، أنماط ونماذج.

عبد المنعم فتحي عوض مهني.

القسم : العقيدة والفلسفة، كلية البنات الأزهرية، جامعة الأزهر فرع المنيا الجديدة، مصر.

البريد الالكتروني: abdalmnmmhny@azhar.edu.eg

الملخص:

يهدف البحث إلى التعرف على مبدأ التوسط والاعتدال الذي يمثل الإطار المنهجي للفكر الأشعري ذي النزعة السنية التجديدية الشاملة لسائر القضايا العقدية التي يتناولها مصطلح علم الكلام الإسلامي، ويعتبر الفكر الأشعري دراسة في عمق التراث الفكري العقدي، ويهتم بالكشف عن حقيقة أصالة الفكر ووسطيته في علم الكلام الإسلامي بوجه عام والأشاعرة بوجه خاص، هدفه شرح ركائز ماصدقات هذا الفكر من خلال القضايا المطروحة وموضوعات التفكير، وقد حاول الباحث وضع جملة من السبل التي يمكن من خلالها النهوض بهذا العلم حتى يبقى غضاً طرياً كهيئته يوم ولد، ويكون معالجة جادة لمشاكل واقعية معاصرة.

الكلمات المفتاحية: الوسطية، الاعتدال، الفكر، الأشعري.

Moderation and moderation in Ash'ari thought, patterns and models.

Abdel Moneim Fathy Awad Mhani.
Department of Belief and Philosophy, Al-Azhar Girls College, Al-Azhar University, New Minya Branch, Egypt.
Email: abdalmnmmhny@azhar.edu.eg

Abstract:
The research aims to identify the principle of mediation and moderation, which represents the methodological framework for Ash'ari thought with a comprehensive renewed Sunni trend of all the doctrinal issues covered by the term Islamic theology, and Ash'ari thought is considered a study in the depth of the ideological intellectual heritage, and it is concerned with revealing the truth of the originality and moderation of thought in Islamic theology In general and Ash'ari in particular, its aim is to explain the foundations of the validations of this thought through the issues raised and the topics of thinking, and the researcher has tried to devise a number of ways through which this science can be promoted so that it remains soft as its appearance on the day of its birth, and is a serious treatment of contemporary realistic problems.

Keywords: Moderation, Moderation, Thought, Ash'ari.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمة

الحمد لله واجب الوجود ، ذى الكرم والفضل والجود ، والصلاة والسلام على خير الأنام وخاتم الرسل الكرام ، محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه الكرام ، وعلى من سار على نهجهم إلى يوم الدين ... وبعد ...

فقد قيض الله تعالى لعلوم الدين فى كل زمان رجالاً عدولاً ، حفظ الله بهم الدين وجدد بهم معالمه ، ومن ثم فقد أصبحت الحاجة ماسة والضرورة ملحة لإعادة القراءة الواعية بنظرة تأصيلية لكثير من المذاهب العقدية فى علم الكلام ؛ من حيث المنهج والأسلوب والموضوع ، وطريقة البحث والعرض ، بحيث يجيب عن الأسئلة المعاصرة ، ويرد على الشبهات الشائعة بلسان العصر وأدواته دون إفراط أو تفريط.

هذا ، ويعتبر منهج الشيخ أبو الحسن الأشعرى هو : تقريره لمذهب الحق ، كمنهج خاص جمع فيه بين المنقول والمعقول ، وفق خطة فكرية التمس فيها موقفاً وسطياً فى كل القضايا الفكرية التى كانت مطروحة فى الثقافة الإسلامية يومها ، وبمثل هذا الفهم المعتدل أسس الشيخ لطرح ثقافى للمسألة الإسلامية ، كانت سبباً فى انتشار المذهب ، وتقبله كحالة رسمية فى الدول الإسلامية قديماً وحديثاً .

إن المذهب الأشعرى لكونه يجمع باتزان واتساق بين الإناطة

بصحيح المنقول كتاباً وسنة ، وإعمال صريح المعقول برهاناً وحجة ، ولكونه نهجاً عقدياً موسوماً بالتوسط ، فهو يؤلف فى ثلاثية بديعة بين النص والعقل والواقع ، مما وطن للأمة أن تستنبط مضامين عقدية مستمدة من هدى النبى ﷺ ومدرسة الصحابة ، ولذلك بسط الله له القبول فى كل حدب وصوب من ربوع أراضى الأمة .

فالعقيدة الأشعرية ليست عقيدة مغايرة لعقيدة أهل السنة والجماعة ، غاية الأمر أن هذا المصطلح هو الدارج المستعمل لدى جميع الناس ، أما مصطلح الأشاعرة فهو مصطلح أكاديمى علمى ، لا يعرف معناه الدقيق إلا المتخصصون .

ولقد استدل الأشعرى على العقائد بالنقل والعقل ، فيثبت ما ورد فى الكتاب والسنة من أوصاف الله والاعتقاد برسله واليوم الآخر ، يستدل بالأدلة العقلية والبراهين المنطقية ، على صدق ما جاء فى الكتاب والسنة ، بعد أن أوجب التصديق بها كما هى نقلاً ، فهو لا يتخذ من العقل حكماً على النصوص ليؤولها أو يمضى ظاهرها ، بل يتخذ العقل خادماً لظواهر النصوص يؤيدها .

وقد أصبح للمذهب الأشعرى السيادة على أتباع المذاهب الفقهية فى العالم الإسلامى ، وتيسر له الانتشار والانتصار بفضل المنهج الوسطى الذى سلكه صاحب المذهب ، فضلاً عن اعتناق كبار العلماء لمذهبه من مختلف فروع الثقافة الإسلامية .

ولهذا فإن جملة المسائل الكلامية التي أوردها الأشاعرة تعتبر كسباً كبيراً للفكر الإسلامى عامة والكلامى خاصة ؛ لأنها صالحت الإسلام بمدرسته السنية مع علم الكلام ، وبالتالى الفلسفة ، ثم إنها عقيدة تبنى على النقل والعقل والاعتدال ، والتوسط بين الفرق المتناقضة ، وبالتالى رفض الغلو والتشدد ، والدعوة إلى الحوار الذى يعد اليوم عنواناً على وعى الأمم وتقدمها .

هذا بالإضافة إلى أن الأشاعرة قاموا بدراسة عقائد الثنوية والغنوصية ، وتصدى للرد عليها كبار رجال الأشاعرة ، كالأشعرى فى مقالات الإسلاميين ، والباقلانى فى التمهيد ، والشهرستانى فى الملل والنحل ، ونهاية الإقدام ، والبغدادى فى الفرق بين الفرق ، والغزالي في فضائح الباطنية وغيرهم .

ومن هنا : فقد حظى الفكر الأشعري بمكانة متميزة فى تاريخ علم الكلام عند المسلمين ، فهو الفكر المعبر عن التصور الإسلامى فى إطاره الأصيل .

والسمة الرئيسة التي يتسم بها الفكر الأشعري هي إخضاع العقل للدين ، صحيح أن الشيخ فهم الدين ودافع عنه بالعقل إلى جانب دفاعه عنه بالنقل ؛ إلا أنه فى المسائل التى وجد أن العقل متعارض فيها مع النقل ، نحا بالعقل جانباً ، أو على الأقل أخضعه لحكم النقل .

ومن هذا المنطلق أرى أن: مذهب الأشاعرة يعتبر مذهباً وسطاً بين

مذاهب علماء الكلام ، ووسطاً بين العقل والنقل، كما أنه يعد من أقرب المذاهب تكاملية فى المنهج والموضوع الذى يحتاج إليه دارس علم الكلام فى وقتنا المعاصر .

وليس إسهامى هذا إلا محاولة – بموضوعية – أن أظهر الفكر الأشعري فى المكانة اللائقة به ، ومحاولة فى الطرف الآخر أن أزيل عنه سوء الفهم الذى علق بأذهان كثير من مخالفيه ، وهكذا تحقق مطلبى بفضل من الله ﷻ لأتناول هذا الفكر بالدراسة والتحليل ، وأسميت هذا الموضوع : (الوسطية والاعتدال في الفكر الأشعري " أنماط ونماذج ").

أسباب اختيار الموضوع:

إن البحث فى التراث (تحقيقاً وإحياءً) يعتبر من الأعمال المضنية، ولكن مع التحلى بالصبر ، والترقى بالإخلاص ، يكون طريقاً محبوباً للنفس ، خفيف الوطئة ، صالحاً للاستمرار والانتشار ، مع مراعاة المرونة والتكيف مع المتغيرات الزمانية والمكانية .

فالفكر الأشعرى ما هو إلا نقطة تحول استمرارية فى حياة البحث العقلى ، بعد أن بلغ حداً من النضج احتاج معه إلى التعريف بالعقل والنص ، ورسم حدود كل منهما ، حتى لا يطغى أحدهما على الآخر .

هذا ، وقد دفعنى إلى الكتابة فى هذا الموضوع ، عدة أسباب من أهمها :

أولاً : يحتل الإمام الأشعري على ساحة الفكر الإسلامي مكانة متميزة ، يغبطه عليها الموافق ، ويحسده عليها المخالف ، نظرًا لمنهجه الذي يقوم على الفهم والنظر والاستدلال ، وتأسيس قواعد الحوار مع المخالف ، وإرساء منهج المراجعة والنقد والتقويم ، بحثًا عن إطار مشترك للتفاهم بين الفرقاء من المذاهب المختلفة .

ثانياً : تعتبر المدرسة الأشعرية من أكثر المدارس وضوحاً وتيسيراً وملائمة فى تقديم الفكر الإسلامى وتحقيق مقاصده فى العصر الحاضر .

ثالثاً : عند دراسة المذهب الأشعرى ، يجد الباحث نفسه أمام موسوعة فكرية غزيرة ، لا تعرض لرؤية واحدة فى الفكر والعلم ؛ وإنما هو التنوع الفكرى الدقيق ، والتبحر العلمى العميق ، الذى تجلى فى كثير من أئمة المذهب ، من خلال مؤلفاتهم ، وسرعة بدهيتهم ، وقوة بيانهم، وتنوع حججهم .

رابعاً : يعتبر الفكر المعاصر فى أمس الحاجة إلى مثل هذا العرض الأشعرى ، الذى يحترم العقل فيخاطبه ، ويقدر الفكر فيحاوره ، وما أبهى أن يلتزم المعاصرون لمثل هذا الفهم ، الذى يحرك العقل بروح النقل ، ويؤكد منزلة النقل بنور العقل ، فى إطار من التدبر والتفكر والتعقل .

خامساً : يعتبر الفكر الأشعرى فكراً إسلامياً عتيق الجذور ، عميق المنهج ، مما أهله لأن يحتل مركزاً محورياً فى دراسة الفكر الإسلامى

فى جامعات أمريكا وأوربا وغيرهما ، كما أكدت ذلك الدراسات المعاصرة.

سادساً : إن المتتبع لتاريخ الأمة الفكرى ، يدرك أنه لم ينعقد إجماع على مذهب عقدى ، مثلما عقد على مذهب الأشاعرة ، ولا يخفى أن مثل هذا يعطى نوعاً من الاتحاد والقوة ، الذى يضع الفكر الإسلامى موضع التقدير والاحترام .

سابعاً : إن عرض أمور العقيدة والإيمان من منطلق نصوص الوحى فقط ، دون إبداء التفسير والبيان المقرب للأفهام والعقول ، لا يكون كافياً عند الكثير ، وخاصة الذين ألفوا التبريرات العقلية والحجج المنطقية .

ثامناً : يعتبر الطابع العام فى الفكر الأشعرى هو: الميل إلى السلف الصالح فى ترجيح الجانب الدينى على الجانب العقلى ، وذلك لا يتم إلا بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، والابتعاد عن الأجواء المليئة بالتناحر والخلافات ، التى يمكن أن تؤدى إلى فساد فى الدين ، وليس أدل على ذلك من أن الأشعرى قد اقتفى أثره من بعده تلاميذ كثيرون .

من أجل هذه الأسباب التى ذكرتها وغيرها ، أردت أن أتناول موضوع : الوسطية والاعتدال في الفكر الأشعري بالبحث والدراسة .

منهجى فى هذا البحث :

وبعد استقصاء مناهج البحث ، وجدت أن أنسب المناهج التى تتفق وموضوع بحثى هذا هو المنهج : (الاستنباطي التحليلي المقارن) محاولاً ما استطعت أن أؤكد على أصالة هذا الفكر ووسطيته وموضوعات التفكير فيه ، وصلاحيته للاستمرارية فى الحياة المعاصرة ، مع مراعاة المرونة الزمانية والمكانية ، خاصة وأنه لم يعارض أصلاً من أصول الدين ، ناهيك عن التزامه بما التزم به السلف الصالح رضوان الله عليهم.

الهدف من الدراسة :

إن الهدف من هذه الدراسة هو : إظهار أثر المذهب الأشعرى ، المتمثل فى مؤسسه ، وطرق وأدوات فكره ، ونظرياته المتعلقة بتناول موضوع العقيدة على الساحة الفكرية فى جميع أركانها ، وإثبات أصالة الفكر ووسطيته وتمسكه بالكتاب والسنة ، مما كان سبباً فى امتداده وانتشاره فى جميع الدول الإسلامية والمؤسسات العلمية ، وكونه معالجة جادة لمشاكل واقعية حية معاصرة ، أو فيما يسمى بظواهر التطرف والإرهاب وتكفير المخالف .

هذا، وقد قسمت البحث إلى ثلاثة مباحث ، تسبقها مقدمة ، وتعقبها خاتمة .

المبحث الأول: (الأصالة والإبداع في الفكر الأشعري) .

المبحث الثاني : (ماصدقات مفهوم الفكر الأشعري) .

المبحث الثالث : (أنماط ونماذج من مظاهر الوسطية والاعتدال في الفكر الأشعري).

ثم الخاتمة : وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يرفع به درجاتى ، إنه سبحانه ولى ذلك والقادر عليه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباحث

المبحث الأول
الأصالة والإبداع فى الفكر الأشعرى

ظلت الحركة الفكرية فى الثقافة الإسلامية تتدرج تصاعدياً ؛ فمن منطق القول (الرأي) إلى منطق المذهب (الجماعة) ، انتهاء بمنطق الطائفة (الحكم السياسي) ، وهى أصدق المراحل تعبيراً عن حركة الاختلاف في بعدها الجدلي .

لقد ذهب قوم بأهمية تاريخ النبى ﷺ فى فهم الكتاب ، فقرروا الأخذ بأقوال النبى ﷺ وأفعاله لتفسير الكتاب تفسيراً دقيقاً ، فكان هذا السلوك هو : " المسؤول عن ذلك التكتل الفكري الذى عرفه التاريخ تحت مسمى أهل السنة [١] (مدحاً) ، والحشوية [٢] (ذماً) " [١] .

---

(١) أهل السنة: لفظ يحتمل معنيين: إما أن يكون بمعنى الطريقة، أي أن أهل السنة اتبعوا طريق الصحابة والتابعين فى التسليم بالمتشابهات القرآنية، وإما أن تكون بمعنى: الحديث، أي أنهم يؤمنون بصحيحه ويقرونه دون خوض فى التأويل، وقد أصبح لفظ السنة والجماعة مصطلحاً شاع استعماله من عهد الصحابة إلى أن اختص به الأئمة الأربعة. يراجع فى ذلك : منهاج السنة النبوية/ابن تيمية/ نشر مكتبة الرياض الحديثة بالسعودية – مكتبة الجمهورية بالقاهرة/ج١/ ص٢٥٦ ، وأيضاً : نشأة الأشعرية وتطورها/ د. جلال محمد موسى/ ط. دار الكتاب اللبناني ببيروت/ ط. الأولى سنة ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م/ ص١٦.

(٢) الحشوية: طائفة من المحدثين بالغوا فى إجراء الآيات والأحاديث التى قد يفهم منها التشبيه على ظاهرها، فوقعوا فى التجسيم الغليظ، حتى أثبتوا لله تعالى جسماً=

فى حين لم يجد آخرون هذا المسلك آمناً ، إلا بافتراض وجوب إمام عالم بالتنزيل والتأويل ، وهذه الرؤية هي : " التي أنتجت ذلك التيار الفكري الذى عرف في التاريخ الإسلامي ، بمدرسة أهل البيت (مدحاً) ، والروافض [٢] (ذماً) " [٣] .

وأما النمط الثالث : فقد وجد العصمة من خطأ الفهم والتفسير فى مجموعة من القواعد الفكرية العقلية جعلوها حاكماً فى تأويل آيات الكتاب وقبول الخبر ، وكان هذا النمط : " أول من أرسى دعائم البحث

=وأبعاضاً .الإرشاد/ الجويني/ تحقيق د. محمد يوسف موسى/ ط. مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م/ هامش ص٣٩.

(١) ينظر فى ذلك: موسوعة الفرق والمذاهب الإسلامية /سعد رستم/ ط. مطبعة الأوائل للنشر بدمشق/ ط. الثالثة سنة ٢٠٠٥م/ ص ١٠٥، وأيضاً: موسوعة الفرق والجماعات / د. عبد المنعم الحفني/ ط. دار الرشاد بالقاهرة / ط. الأولى سنة ١٩٩٣م/ ص٣٧٠.

(٢) الروافض :فرقة من كبار الفرق الإسلامية ، وتسمى بالشيعة أيضاً ، وهم الذين شايعوا علياً وأولاده على إمامة المسلمين بعد النبى ﷺ ، ورفضوا سواه ، وقالوا : إن الإمامة إن خرجت عنهم فبظلم أو تقية ، وقيل : إنهم اثنان وعشرون فرقة ، وأصولهم ثلاث فرق : الغلاة والزيدية والإمامية . الموسوعة الفلسفية/ د. الحفني/ ط. دار ابن زيدون ببيروت ، ومكتبة مدبولي بالقاهرة / ط. الأولى/ ص ٢١٣.

(٣) يراجع فى ذلك: مقالات الإسلاميين/ الأشعرى/ تحقيق. محمد محى الدين عبد الحميد/ ط. مكتبة النهضة المصرية/ ط. الأولى سنة ١٩٥٠م/ج١/ ص٨٧ ، والفرق بين الفرق/ البغدادي/ تحقيق. محمد عثمان الخشن/ ط. مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع بالقاهرة / ص٤١.

العقلى فى الحياة الثقافية الإسلامية ، وعرف بأوصاف كثيرة ، منها : العدلية (مدحاً) ، أو المعطلة [١] (ذماً) ، وأما مشهور هذه الأوصاف فهو لقب المعتزلة [٢] حصراً " [٣] .

---

(١) المعطلة: فرقة كلامية ظهرت فى الربع الأول من القرن الثاني الهجري، على يد مؤسسها الجهم بن صفوان، وهو من الجبرية الخالصة، ظهرت بدعته بترمذ، ووافق المعتزلة فى نفى المعاني الصحيحة للصفات الأزلية. يراجع فى ذلك : الرد على الزنادقة والجهمية/ أحمد بن حنبل/ تحقيق . دغش بن شبيب العجمى/ ط. دار غراس/ ط. الأولى سنة ١٤٢٦هـ/ ص٧٠ :٧٥.

(٢) المعتزلة : كلمة اعتزال فى اللغة مأخوذة من اعتزل الشيء ، وتعزله بمعنى تنحى عنه ، وفى الاصطلاح : فهو اسم يطلق على فرقة ظهرت فى الإسلام فى أوائل القرن الثاني الهجري ، وسلكت منهجاً عقليا فى بحث العقائد الإسلامية ، ولقد ذهب المعتزلة إلى أن الدليل العقلى هو الذى يحقق المعرفة اليقينية فى أمور العقيدة ، فاعتمدوا عليه اعتماداً كاملاً فى المسائل المؤسسة للعقيدة ، مثل معرفة الله والتصديق بوجوده ، وشمول علمه وقدرته ،. وكذلك إثبات النبوة والرسالة، أما السمعيات فطريقها النقل. يراجع فى ذلك : الأصول الخمسة/ القاضي عبد الجبار/ تحقيق د. عبد الكريم عثمان / ط. مطبعة الاستقلال الكبرى بالقاهرة / ط. الأولى سنة ١٣٨٤هـ – ١٩٦٥م/ ص٨٨ ، وأيضاً : قواعد المنهج السلفي/ د. مصطفى حلمى / ط. دار الدعوة بالإسكندرية/ ط. الثانية سنة ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م/ ص٢٢ ، وأيضاً : دعوة التوحيد / د. محمد خليل هراس/ ط. دار الكتب العلمية ببيروت/ ط. الأولى سنة ١٤٠٦هـ/ ص٢٢٨.

(٣) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين/ الرازي/ تحقيق د. على سامى النشار/ ط. مكتبة النهضة العربية بالقاهرة سنة ١٩٨٣م/ ص٢، وموسوعة الفرق/ سعد رستم/ ص٩٤.

ومن هذه التيارات الفكرية الثلاثة تشكلت الأنساق[1] الفكرية الكبرى فى الحياة الثقافية الإسلامية ، والتي تولد منها جميع الأنساق الفكرية الصغرى التى بنت على أصولها وطورت فى فروعها .

وبذلك يكون هناك ثلاثة مفاهيم لهذه الأنساق الفكرية الكبرى تتمثل فى التالى :

١- النسق الإخباري : ويضم عموم المدرسة السنية التى تولى أهمية

---

(١) النسق لغة : ما كان على طريقة نظام واحد ، والنسق التنظيم ، وفي الكلام ما جاء على نظام واحد ، وأما في الاصطلاح ، فهو : لفظة تعني الكل المركب من الأجزاء، أو هو: كيان فكري مستقل من العلاقات الداخلية ، والنسق بالمعنى العام هو : جملة عناصر مادية أو غير مادية يتعلق بالتبادل بعضها ببعض ، بحيث تشكل كلاً عضويًا ، مثل النظام المدرسي ، والجهاز العصبي ، وأما بالمعنى الخاص فهو : مجموعة من أفكار علمية أو فلسفية مترابطة منطقيًا من حيث تماسكها ، لا من حيث حقيقتها . يراجع في ذلك: لسان العرب / ابن منظور / ط. دار المعارف بالقاهرة / ط. الأولى / ج٦/ ص ٤١٢، ومعجم مقاييس اللغة / ابن فارس / تحقيق. عبد السلام هارون / ط. دار الفكر للطباعة والنشر / ج٥ / ص ٤٢٠، والمعجم الوسيط / مجمع اللغة العربية /ط. مكتبة الشروق الدولية بالقاهرة / ط. الرابعة سنة ٢٠٠٤م / ص ٩١٨ ، ٩١٩ ، والموسوعة الفلسفية السوفيتية / موسكو / ط. دار الطليعة للطباعة والنشر ببيروت سنة ١٩٨٣م / ص ٦١٦ ، ومعجم الألفاظ الأجنبية في اللغة الروسية / موسكو سنة ١٩٨٤م / ص ٤٥٩ ، والموسوعة الفلسفية / لا لاند / ترجمة د. خليل أحمد خليل / ط. منشورات عويدات ببيروت سنة ١٩٩٦م/ ج٣/ ص١٤١٧ .

كبرى للحديث حتى أعطت للسنة استقلالية فى التشريع [١] .

٢- النسق الاستمراري : ويضم عموم المدرسة الشيعية التى تعتقد باستمرار العهد الإلهي بعد وفاة النبي ﷺ فى أشخاص معينة ومحددة سلفاً من أهل بيت النبى ، منصوص عليها ضمن عقيدة الإمامة والعصمة [٢] .

٣- النسق الاختبارى : وهو عموم المعتزلة التى أعطت للعقل حاكمية مطلقة على الموضوع ، فلا يشذ عن حكم العقل شيء.

وتجاوزاً لحكم الإسراف فى الممارسة العقلية لدى المعتزلة ، وكذلك الإسراف فى الجمود على ظاهر النص ، ظهر تيار آخر أريد له أن يتجاوز محنة الجميع بزعامة المفكر المعتزلى بالأصالة، الأشعري بالمآل ، أبى الحسن الأشعرى .

" فحاول أن يجمع بين الطريقتين فى نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الهجريين ، فأسس اتجاهاً تركيبياً ، عرف فيما بعد بالمذهب الأشعرى نسبة إليه ، فكانت له أصوله الفكرية ، ومبادئه النظرية ، ونظامه الجدلى المستقل ، وبات نسقاً من الأنساق

---

(١) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول/ الشوكاني/ تحقيق .أبى حفص سامى بن العربى/ ط. دار الفضيلة/ ط. الأولى سنة ٢٠٠٠ م/ج١/ ص٨٧.

(٢) المهدى المنتظر/ محمد آل ياسين/ ط. المكتب العالمي للطباعة والنشر ببيروت/ ص١١.

الهامة فى التاريخ الإسلامي " [١] .

وبذلك نرى أن كل ما يطلب للنسق الفلسفي من انتظام العناصر ، والشمولية ، والأصالة ، موجودة فى ذلك النوع من التفكير الذى عرفه المتكلمون الأوائل ، فلا شبهة إذن فى استخدام مصطلح نسق لتوصيف تلك المذاهب الكلامية .

ونحن إذ نستخدم مصطلح النسق لتوصيف المذهب الكلامي للأشاعرة ، إنما نريد من هذا الإطلاق تحقيق بعض من هذه المعاني على الأقل :

أ- " إطلاقه على سبيل الترادف كما فعل المترجمون توسعاً أو تجوزاً .

ب- مواكبة المنظومة الفكرية الراهنة ، حيث يدخل مفهوم النسق فى كل المعارف والنشاطات.

جـ - صلاحية اللفظ لهذا الغرض لاحتمال توافر الخصائص الفلسفية للنسق الفلسفي فى المذهب الكلامي ، خاصة فى الإطار الذى ينظر إليه كمفهوم جامع لمختلف الماهيات [٢] المتباينة ،

---

(١) أبو الحسن الأشعرى/ د. حمودة غرابة / ط. مطبعة الرسالة بالقاهرة سنة ١٩٥٣م/ ص ١٩: ٢٨.

(٢) الماهية : من قولهم (ما هو) كما يقولون الكيفية والإنية ، وقيل الماهية منسوبة إلى (ما) والأصل المائية ، والأظهر أنه نسبة إلى (ماهو) ، والماهية عند الفلاسفة والمتكلمين بمعنى ما به الشيء هو (تهانوى) ، وتطلق الماهية غالباً على الأمر

ضمن مقولة الأنساق ، والأنساق الفلسفية " [١].

وأما وجه الأصالة والإبداع فى النسق ، فيرجع إلى الصبغة التى تعكس طريقة تفكير الفيلسوف المتميزة عن غيرها ، وتحدد بوضوح خصوصية المفاهيم للنسق باعتباره يعبر عن : " تطلع الفيلسوف نحو أفق فلسفي يعكس تجربته الفلسفية المعنية ، ويسهم إلى حد كبير فى الإفصاح عن هوية [٢] الفيلسوف " [٣].

فالأصالة والإبداع فى النسق الفلسفي ليس معناه عدم الأخذ من الفلسفات السابقة ، فالنسق الفلسفي الأصيل قد يكون نتيجة لانتقائية خلاقة ، فالانتقائية بهذا المعنى هي الأصالة والإبداع ، لأنها إعادة إنتاج للتراث الفلسفي بتأويل جديد للقضايا الفلسفية يمليها أفكار معينة ، مصاغة فى نسق فلسفى متجانس ، يعبر عنه برؤية خاصة وأصيلة .

" إن من خواص المباحث الفلسفية الأصيلة، اتصافها بصفة

المتنقل ، فتقديرها فى الأذهان ، لا فى الأعيان . المعجم الفلسفي/ د. الحفني/ ص ٢٩٩.

(١) المباحث اللسانية عند الأشاعرة/رزوق نوارى/ رسالة دكتوراه – جامعة باتنة بالجزائر سنة ٢٠١٦ – ٢٠١٧م/ إشراف أد. السعيد هادف/ ص ١٨.

(٢) الهوية: الأمر المتعقل من حيث امتيازه عن الأغيار. المعجم الفلسفي/ د. مراد وهبة / ط. دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع سنة ١٩٩٨ م / ص ٧٢٠.

(٣) البنية الاصطلاحية للنص الفلسفي/ مختار بولخماير / مجلة الوحدة بالرباط – العدد ٩٨ سنة ١٩٩٢م/ ص٥٥.

النظامية أو التماسك، لا بصفة الوحدة المطلقة ضرورة "[١].

فهذا التواصل أو الاستمرار، ليس معناه أن الفيلسوف اللاحق يبحث عن الحقيقة عند السابق، بل إن الفلسفة هي: " صراع بين الآراء والأنساق، من أجل سيادة أشكال فلسفية جديدة على الأشكال القديمة التى كانت سائدة فيما قبل "[٢] .

فالفيلسوف اللاحق يصنف التجارب الفلسفية السابقة ، ويحلل الروابط بينها ويقومها ، متوخياً استجلاء التجارب الفلسفية فى عموميتها وعبر تاريخها الطويل برؤية نقدية متعمقة ، وحدس[٣] فلسفى خاص.

هذا الحدس يتسم : " بالأصالة والخصوصية والإبداع ، لا يشاركه فيه أحد ، بل إن آخر كلمة فى كل مذهب فلسفى ، تعتبر انطلاقاً لفلسفة

---

(١) أبعاد التجربة الفلسفية/ د. ماجد فخرى/ ط. دار النهار للنشر ببيروت سنة ١٩٨٠م/ ص٢٠، ٢١.

(٢) الميتافيزيقا (العلم والأيديولوجيا)/عبد السلام بن عبد العالي/ ط. دار الطليعة ببيروت / ط. الثانية سنة ١٩٩٣م/ ص٣٨.

(٣) الحدس فى اللغة: الظن والتخمين والتوهم فى معانى الكلام والأمور، والحدس الذى اصطلح عليه الفلاسفة القدماء مأخوذ من معنى السرعة فى السير، وله فى الفلسفة الحديثة عدة معان ... ونحن نطلق الحدس على اطلاع النفس المباشر على ما يمثله لها الحس الظاهر أو الباطن من صور حسية أو نفسية. المعجم= =الفلسفي/ د. جميل صليبا / ط. دار الكتاب اللبناني ببيروت سنة ١٩٧٩م/ ص٤٥٣، ٤٥٤.

جديدة ، وبداية لمذهب "[١] .

وليس معنى هذا : أن الفلسفات السابقة تقهر قهراً نهائياً ، أو يقضى عليها قضاءً مبرماً ، أو تمحى من الوجود التاريخي .

" فالفيلسوف لا ينتج فلسفة أصيلة إلا إذا تحرر بعقله من سيطرة الفلسفات السابقة عليه ، بعد أن تعرف أسسها وأصولها ، ونظرياتها ومنهجها ، ومفاهيمها ، ليخرج بعقله تجربة فلسفية جديدة ، هى آخر ما استطاع أن يهتدى إليه العقل الفلسفي "[٢] .

فقد كان أفلاطون[٣] على قناعة أنه تجاوز الآراء الفلسفية السابقة عليه، كما اعتقد أرسطو[٤] بتجاوز أفلاطون تجاوزاً تاماً.

---

(١) مقدمات الفلسفة / عادل العوا/ ط. مطبعة خالد بن الوليد سنة ١٩٨٩م/ ص٢١٧.
(٢) الميتافيزيقا / عبد السلام بن عبد العالي / ص٣٨.
(٣) هو : (٤٢٧-٣٤٧ق.م) ولد بأثينا وعاش بها معظم سنوات حياته التى تجاوزت الثمانين ، ولعل أشهر ما يمكن تناوله من أفلاطون نظريته فى المثل والمعرفة ، ولقد عرفه فلاسفة الإسلام ولقبوه بالإلهي ، وكان ممن تأثروا به مدرسة الرازي ، ومدرسة المعتزلة ، ومدرسة الفقهاء الظاهرية ، والمفكرين السلفيين عن الحنابلة. الموسوعة الفلسفية / د. عبد المنعم الحفني / ط. دار ابن زيدون ببيروت ومكتبة مدبولى بالقاهرة / ط. الأولى / ص٥٢ : ٥٥.

(٤)هو : (٣٨٤ : ٣٢٢ ق. م) ابن نيقوما خوس ، طبيب أمينتاس الثاني ملك مقدونيا ، ولد ببلدة اسطاغيرا شمالي اليونان ، وفى السابعة عشرة رحل إلى أثينا تلميذاً

ومن خلال هذه الرؤية نظر أرسطو إلى الفلسفة : " بوصفها استكمالاً وتقدماً ، فاعتقد أن الفلسفة مرت بمراحل مثلها : طاليس[١] وسقراط[٢] وأفلاطون ، ووصلت إلى طبيعتها فى فلسفته هو "[٣] .

وكذلك اعتقد ديكارت [٤] أن : " فلسفته ستعمل على إزاحة الفلسفة

بأكاديمية أفلاطون نحو ٣٦٧ق.م ، ولفت إليه نظر أستاذه فلقبه بالعقل لشدة ذكائه ، والقراء لسعة إطلاعه . الموسوعة الفلسفية / د. الحفني / ص ٣٥، ٣٦.

(١) طاليس: (حوالى٦٢٤-٥٤٧ق.م) أول فيلسوف إغريقي قديم من الناحية التاريخية، وكان يعد واحداً من الحكماء السبعة، وهو مؤسس المدرسة الملطية المادية التلقائية، وقد بحث عن المبدأ الأول أو العنصر الأولى لجميع الموجودات، واعتبره الماء. الموسوعة الفلسفية/ روزنتال/ ترجمة . سمير كرم /ط. دار الطليعة ببيروت/ ص٢٤٨.

(٢) سقراط : (نحو٤٧٠-٣٨٩ق.م) أعمق فلاسفة اليونان تأثيراً في الفكر اليوناني ، به ينقسم تاريخ الفلسفة إلى ما قبل سقراط وما بعده ، كانت أصالته الحقيقية فى مفهومه الجديد للنفس ، فبالتأمل والاستبطان يدرك الإنسان أبعاد شخصيته ، والحكمة هى كمال العمل القائم على كمال العلم ، والفضيلة علم ، والرزيلة جهل . الموسوعة الفلسفية/ د. الحفني/ ص٢٤٤ ، ٢٤٥.

(٣) المشكلات الكبرى في الفلسفة اليونانية / أولف جيجن/ ترجمة. عزت قرني/ ط. دار النهضة العربية بالقاهرة سنة ١٩٧٦م/ ص٢٣٤.

(٤) هو: رينيه ديكارت (١٥٩٦-١٦٥٠م) فرنسي ولد بمقاطعة تورين، أعجب بدقة الرياضيات وإحكام براهينها، وكان يرى أن شجرة المعرفة واحدة، جذورها الميتافيزيقا، وجذعها الفيزيقا، وفروعها مختلف العلوم، ويبرز المنهج بوصفه منهج الشك المشهور. الموسوعة الفلسفية/ د. الحفنى/ ص١٨٩ :١٩٢.

السكولائية [١] ، وهدف الغزالي[٢] إلى القضاء على الفلسفات السابقة عليه كلها ، واعتقد كانط[٣] أن نسقه في (نقد العقل النظري) يمثل قمة

---

(١) اسكولائية: مدرسة فلسفية سادت فى أوربا فى العصور الوسطى، وكانت تستخدم منهجاً نقدياً في التحليل الفلسفي، بناء على أنموذج مسيحي لاتيني، وهذا المنهج هو الذى كان مسيطراً على التدريس فى جامعات أوربا منذ حوالى سنة ١١٠٠م وحتى عام ١٧٠٠م، وبلغت هذه الفلسفة أعلى مراحل تطورها في فلسفة توما الإكويني، كما يمكن التعريف بأنها فلسفة حاول أتباعها تقديم برهان نظري للنظرة العامة الدينية للعالم، بالاعتماد على الأفكار الفلسفية لأفلاطون وأرسطو. يراجع فى ذلك : الموسوعة الفلسفية / مجموعة من العلماء السوفيتيين / إشراف روزنتال ، ويودين / ترجمة . سمير كرم / ط. دار الطليعة ببيروت / ص ٣٥٠ ، وأيضاً : من سقراط إلى سارتر / ت . ز . لازفين / ترجمة أشرف محمد كيلاني – مراجعة. سعيد توفيق / ط. المركز القومي للترجمة / ط. الأولى سنة ٢٠١٢ م / ص ٩٦ : ١٠١ .

(٢) هو : حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (٤٥٠-٥٠٥هـ) له المواقف من الفلسفة والتصوف ، وكتبه نحو من مائتي كتاب ، منها : إحياء علوم الدين ، تهافت الفلاسفة ، فضائح الباطنية ، وما طرقه من موضوعات يجعل منه موسوعة كاملة ، فقد طاف بميادين المعرفة ، وانتهى به الأمر إلى الشك المنهجي الذى أسلمه إلى التصوف ، فوجد فيه النجاة ، وعصمه وأوصله إلى اليقين الموسوعة الصوفية / د. عبد المنعم الحفنى / ط. دار الرشاد/ ط. الأولى سنة ١٤١٢ هـ/ ص٣٠٥.

(٣) هو : عمانوئيل كانط ، ولد في مدينة كينجز برج في بروسيا الشرقية عام ١٧٢٤م، ويؤكد المؤرخون على أنه من أصل ألماني بحت ، وذلك بعكس ما ذكر عن نفسه أنه اسكتلندي الجنسية ، التحق بمدرسة فريدريك الثانوية ، ثم دخل جامعة كينجزبرج عام ١٧٤٠م ، ودرس فيها الفلسفة واللاهوت والرياضيات والطبيعة ،=

الفلسفة "[1] .

فقد اعتقد هؤلاء أن أنساقهم الفلسفية تمثل الذروة أو النهاية ، لكن حتمية التقدم والتواصل في الفكر الفلسفي ، جعل من هذه الفلسفات حلقات متممة لتاريخ العقل الفلسفي ، فهذه الأنساق الفلسفية تعتبر بمثابة إسهامات فكرية يقدمها أصحابها بصورة فكرية جديدة ، ولكنها تخضع بدورها – أيضاً – للنقد والتجاوز ، وهذا ما نعنيه بفكرة (التقدم) في مسيرة العقل الفلسفي .

هذا ، ويعتبر النسق الفكري للأشعري ، هو الانتماء إلى طريقة السلف ، التى تقدم الإيمان بظواهر النصوص ، مع تفويض متشابهها واجتناب التأويل ، وذلك بخلاف متأخري الأشاعرة الذين اقتربوا أكثر من المعتزلة والفلاسفة .

=ثم حصل من هذه الجامعة على (الدكتوراه) ، ثم عين أستاذاً بها فى عام ١٧٧٠م، وظل يشغل هذه الوظيفة حتى فاجأه الموت فى شهر فبراير عام ١٨٠٤م . يراجع في ذلك : كانط وفلسفته النظرية / د. محمود زيدان/ ط. دار المعارف بالقاهرة / ط. الثالثة سنة ١٩٧٩م / ص١٧ : ٢١ ، والفيلسوف كانط والكانطية الجديدة / د. عبد الوهاب جعفر / ط. دار المعرفة الجامعية سنة ٢٠٠٠م / ص ٧ : ١٢ ، والموسوعة الفلسفية المختصرة / فؤاد كامل وآخرون / مراجعة د. زكى نجيب محمود / ط. دار القلم ببيروت / ص ٣٢٩.

(١) مفهوم النسق فى الفلسفة (الإشكالات والخصائص) / د. سليمان أحمد الضاهر / مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة دمشق / المجلد الثلاثون – العدد الثالث والرابع سنة ٢٠١٤م / ص٣٨٨.

ويبدو هذا جلياً من كلام الأشعرى عندما أعلن فى كتابه : (الإبانة عن أصول الديانة) : "ولاءه للإمام أحمد بن حنبل ، وانطواءه تحت مذهبه " [١].

ويظهر ذلك واضحاً – أيضاً – فى المقدمة العقدية التى صدر بها الإمام القيرواني [٢] رسالته ، والتي جاء فيها : " إن الله على العرش استوى ، وعلى الملك احتوى ، وله الأسماء الحسنى ، والصفات العلى"[٣].

لقد قام الأشعرى لنصرة السنة وقمع البدعة ، وبذلك اتفق الجمهور على أنه مجدد المائة الثالثة [٤] .

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة/ الأشعرى/ تحقيق د. فوقية حسين محمود/ ط. دار الأنصار بالقاهرة سنة ١٩٨٧م/ ص٦٥.

(٢) هو: الإمام عبد الله بن أبى زيد القيرواني المتوفى سنة٣٨٦هـ، وهو صاحب الرسالة الفقهية المشهورة بـ (الرسالة).

(٣) الرسالة / القيرواني/ (مع شرح الثمر الداني في تقريب المعاني لرسالة القيرواني)/ الشيخ صالح بن عبد السميع الآبي الأزهري (ت١٣٣٥هـ)/ ط. مطبعة مصطفى البابي الحلبى وأولاده بالقاهرة سنة ١٣٨٣هـ / ص١٩.

(٤) عقيدة الإمام الأشعرى/ مصطفى عبد الرحمن العطاس/ ط. دار الأصول بحضرموت سنة٢٠٠٦م/ ص٥٦.

وقد ذكر السيوطى [1] المجددين إلى نهاية القرن التاسع الهجري ، فى أرجوزة أسماها : (تحفة المهتدين بأخبار المجددين) قال فيها :

وابن سريج ثالث الأئمة ∴ والأشعري عده من أمه [2].

ومعالم التجديد فى مدرسة الإمام الأشعرى تتمثل فى التالى :

" ١- إنه يعرض القديم المتفق عليه فى صورة عصرية ، ويبرزه فى ثوب جديد يتلاءم مع متطلبات العصر ، مبيناً صلاحية القرآن والسنة لكل زمان ومكان ، دون المساس بجوهرهما ، وإلا تحول التجديد إلى تبديد .

٢- يستخدم سلاحاً جديداً قديماً فى نصرة القرآن والسنة ؛ ألا وهو

---

(١) هو: الإمام عبد الرحمن بن الكمال أبى بكر محمد بن سابق الدين ... السيوطي، أو الأسيوطي، ولد فى رجب سنة٨٤٩هـ، وكان إماماً من أئمة الدين فى عصره، إذ إنه تعلم النحو والفقه والتفسير والفرائض، وغيرها. يراجع فى ذلك : البدر الطالع/ الشوكاني/ ط. القاهرة سنة١٣٤٨هـ / ج٢/ ص٣٣٥، وأيضاً : حسن المحاضرة/ السيوطى/ تحقيق. محمد أبو الفضل إبراهيم / ط. القاهرة سنة١٩٦٧م/ج١/ ص ٢٨٩.

(٢) تحفة المهتدين بأخبار المجددين (بهامش التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة)/ السيوطى/ تحقيق. عبد الحميد منير/ نشر دار الثقة للنشر والتوزيع بمكة المكرمة / ط. الأولى سنة ١٤١٠هـ / ص ١٥.

سلاح العقل ، كما يحرر محل النزاع بين الأطراف الإسلامية المتنازعة ، ليردها إلى منهج الوسطية المتفق مع الشرع والعقل دونما تطرف أو تنطع .

٤- كان الأشعري على دراية واسعة وعميقة بمختلف الملل والنحل المشهورة والمغمورة فى التاريخ الإسلامي بوجه خاص ، والإنساني بوجه عام ، فسعى أولاً للإصلاح بين فريقى الأمة بإرجاعهما عن تطرفهما إلى الوسط المعتدل وهما : - فريق من المعتزلة الذين تعاملوا مع أصول العقيدة بالبحث المجرد ، وإن اشتط بهم البحث العقلي إلى رفض ما ثبت من النقل بشكل شبه مطلق ، - وفريق من أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والدعاة وأتباعهم ، الذين ربما تسربت إليهم بعضاً من عقائد الحشوية " [١] .

من هذا الواقع الفكري ، انطلق مؤسس الأشعرية : " ليصوغ فكراً ومنهجاً وسطياً ، يؤكد الاعتبار الشرعي للنص ، وفى الوقت نفسه يعارض خصوم العقل ، وينتقد جمودهم واعتمادهم على التقليد ، وكنتيجة لذلك التوجه شاعت قاعدة الأشاعرة فى هذا الباب ، أن العقل الصحيح والنقل

(١) إمام أهل الحق (الأشعرى) / عبد القادر محمد الحسين / ط. دار المشرق للكتاب / ط. الأولى سنة ٢٠١٠م/ ص٧٠، ٧١.

الثابت الصريح لا يتعارضان " [١].

لقد جمع الأشعري في مذهبه إذن بين : "العقل والنقل ، بين المنهج العقلى ومنهج أهل الحديث ، وأدخل المنهجين إلى أهل السنة والجماعة " [٢].

ثم إن الأشعرية عقيدة تبنى على : " العقل والنقل والاعتدال ، ورفض الغلو والتشدد " [٣]. يقول الغزالي : " وأهل النظر في هذا العلم يتمسكون أولاً بآيات الله تعالى من القرآن ، ثم بأخبار الرسول ﷺ ، ثم بالدلائل العقلية والبراهين القياسية " [٤].

وإضافة لما سبق نستطيع القول إنه : لم يكن إسهام الأشعرى مجرد إبداع رجل منفرد فى علمه واستيعاب الآراء الرائجة فى عصره ، بل كان كذلك ثمرة تطور مذهب أهل السنة والجماعة ، وهو ينتقل من مرحلة تجنب الخوض فى دقائق علم العقيدة كالذات الإلهية، إلى مرحلة الدفاع

---

(١) عقائد الأشاعرة (في حوار هادئ مع شبهات المناوئين)/ د. صلاح الدين الأدلبي / ط. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة بالقاهرة / ط. الثانية سنة ٢٠٠٨م/ ص٥٥.

(٢) الفلسفة العربية الإسلامية/ آرثور سعد بيف، توفيق سلوم/ ط. دار الفارابي ببيروت / ط. الأولى سنة ٢٠٠٠م/ ص٣٦.

(٣) فى أصول الحوار وتجديد علم الكلام/ طه عبد الرحمن/ ط. المركز الثقافي العربي/ ط. الثانية سنة ٢٠٠٠م/ ص٢٠.

(٤) الرسالة اللدنية / الغزالي / ط. مطبعة كردستان العلمية سنة ١٣٢٨هـ / ص١٥.

عن العقيدة الصحيحة بالأدلة والبراهين ، التي تناسب طبيعة التحدي العقدي والفكري في المجتمعات المسلمة.

وأود أن أنبه إلى أن الأشعري يعتبر امتداداً لطائفة من أعلام أهل السنة الذين خلفوا الأئمة الأوائل ، فى تصديهم للانحرافات العقدية ، ولكن بأسلوب يناسب التحديات الجديدة ، كما فعل ابن كلاب [١] أول متكلم من أهل السنة ، والذى ناقش المعتزلة بأسلوبهم ، والقلانسي [٢] أيضاً .

فالموقف الجديد الذى اتخذه الأشعرى فى الواقع هو : " محاولة للتوفيق بين نزعة المعتزلة العقلانية ، وميل الحنابلة والحشوية إلى الجمود ، ووقوفهم عند ظواهر النصوص ، ورفضهم لعلم الكلام والبراهين العقلية " [٣].

---

(١) هو: أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن كلاب، كما في طبقات الشافعية (٥١/٢) وهو أحد أئمة المتكلمين من أهل السنة، وتوفى بعد عام ٢٤٠هـ. الإرشاد/ الجويني/ ص١١٩.

(٢) هو: أبو العباس القلانسى، من متكلمي أهل السنة في القرن الثالث الهجري، ويبدو أنه كان صديقاً وصنواً لابن كلاب، وإن كان قد تأخر عنه قليلاً، ناظر النظام، وكتب فى الرد عليه، وكانت وفاته حوالى سنة ٢٥٥هـ. نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام / د. على سامى النشار/ ط . دار المعارف بمصر/ ط. الثالثة سنة ١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م/ ص٢٩٦.

(٣) فلسفة الفكر الديني / لويس غرديه وجورج قنواتي/ ترجمة د. صبحى الصالح ود .فريد جبر/ ط. دار العلم للملايين ببيروت سنة ١٩٧٨م/ج١/ ص٩٢.

وقد نقل ابن عساكر[١] فى كتابه : (تبيين كذب المفتري) قول إمام الحرمين الجويني [٢] ،أن الأشعرى : " نظر فى كتب المعتزلة والجهمية والرافضة ، وأنهم عطلوا وأبطلوا ، فقالوا :لا علم لله ، ولا قدرة ، ولا سمع ، ولا بصر ، ولا حياة ، ولا بقاء ، ولا إرادة ، وقالت الحشوية والمجسمة [٣] والمكيفة المحددة، إن الله علماً كالعلوم، وقدرة

---

(١) هو: أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الدمشقي الشافعى، المؤرخ الرحالة الحافظ بن عساكر، ولد سنة ٤٩٩هـ فى مدينة دمشق، وأخذ العلم والفقه فيها، وتوفى رحمه الله فى رجب سنة ٥٧١هـ. يراجع فى ذلك: سير أعلام النبلاء/ الذهبى / تحقيق . الشيخ شعيب الأرناؤوط / نشر مؤسسة الرسالة / ط. الثالثة سنة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م/ج٢٠/ ص٥٥٥.

(٢) هو : أبو المعالى عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ، نسبة إلى جوين ، ناحية كبيرة من نواحي نيسابور ، ولقب بضياء الدين النيسابورى ، وعرف بإمام الحرمين ، واتفق على غزارة مادته وتفننه فى العلوم من الأصول والفروع والأدب وغير ذلك ، وظل على هذه الحالة حتى لحق بربه عام ٤٧٨هـ عن تسعة وخمسين عاماً ، إذ كانت ولادته عام ٤١٩هـ . يراجع فى ذلك : اللباب فى تهذيب الأنساب/ ابن الأثير / تحقيق د. مصطفى عبد الواحد / نشر مطبعة دار التأليف بالقاهرة /ج١/ ص٣٦٥ ،٣٦٦ ، وشذرات الذهب/ ابن العماد الحنبلي /ج٣/ ص٢٦١.

(٣) المجسمة : هم فرقة يقولون : إن الله جسم حقيقة ، وقالوا : إنه مركب من لحم ودم ، كمقاتل بن سليمان وغيره ، وقالوا : هو نور يتلألأ كالسبيكة البيضاء ، وطوله سبعة أشبار من شبر نفسه ، ومنهم من يبالغ ويقول : إنه على صورة إنسان ، وأنه شاب أمرد جعد قطط ، وقالوا : بل هو شيخ أسمط الرأس واللحية (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً) . الموسوعة الفلسفية/ د. الحفنى / ص٤١٩.

كالقــدر، وسمعاً كالأسماع، وبصراً كالأبصار، فسلك ﷺ طريقة بينهما"(١).

وقد وصف كوربان (٢) طريقة الأشعرى بأنها : " بين تطرف المتمسكين بحرفية النص من أهل الحديث، وتطرف العقليين من أهل الاعتزال " (٣).

ولا شك أن محاولة الأشعرى للتوفيق بين فكر المعتزلة العقلاني ، وأسلوب الحنابلة الذين يميلون إلى الجمود والتقليد ، لم تكن لتنال رضا المعتزلة ، أو قبول الحنابلة والحشوية ، وهذا هو السبب الذى جعل

---

(١) تبيين كذب المفتري / ابن عساكر/ ط. دار الكتاب العربى ببيروت / ط. الثالثة سنة ١٩٨٤م/ ص١٤٩.

(٢) هو : هنري كوربان ، مستشرق فرنسي (١٩٠٣ – ١٩٧٨م) ينتمى إلى أسرة بروتستانتية ، أتقن العديد من اللغات كالألمانية واللاتينية واليونانية والروسية ، ويعد من أبرز الباحثين الذين انصب اهتمامهم على دراسة الفكر الفلسفي الإسلامي، مهتماً أشد ما يكون الاهتمام بالفكر الشيعي إلى جانب الفلسفة الإشراقية ورموزها ، وقد اهتم في بداية مشواره العلمي بمؤلفات ابن سينا المترجمة إلى اللاتينية . يراجع فى ذلك : موسوعة المستشرقين / د. عبد الرحمن بدوى / ط. دار العلم للملايين ببيروت/ ط. الثالثة سنة ١٩٩٣م/ ص٤٨٢ ، وأيضاً : الشيعة (نص الحوار مع المستشرق كوربان) / تعريب جواد على – محمد حسين الطباطبائي/ ط. مؤسسة أم القرى/ ط. الأولى سنة ١٤١٦هـ/ ص٤٦.

(٣) تاريخ الفلسفة الإسلامية/ هنري كوربان/ ترجمة د. مروة نصير وحسن قبيسي / نشر عويدات – بيروت سنة ١٩٨٣م/ ص١٨٨.

وينسينك يتساءل فى كتابه : The Muslim Creed عن محاولة الأشعري هذه[١] .

وبذلك يتميز الفكر الأشعري من بين المنظومات الفكرية بـــ : " التوسط والاعتدال ، والتوفيقية ، والشمولية ، والواقعية ، وعدم تكفير المخالف " [٢].

وميزة هذه الشمولية المنهجية تظهر بالقراءة الكلية لأهم كتابين للإمام الأشعري ، والمتمثلة في الإبانة واللمع ، والمتأمل لكتاب الإبانة (على وجه الخصوص) يجد أن الأشعري ناقش فيه آراء خصومه من المعتزلة بالكثير من النظام والوضوح ، ثم انتهى بعد ذلك إلى دحضها ، مستعرضًا لكل وجوه المسألة الواحدة ، كما حاول عن طريق التقسيم والتصنيف أن يقيم شكلًا من القياس ، بالإضافة إلى براعته في تذليل اللفظ مسايرًا للمنهج الذي اكتسبه من دراساته عن المترادفات[٣] والجناس[٤] .

---

(١) يراجع وينسينك في كتابه: A.J. Wencinck, The Muslim, Creed, Cambridge, The University Press, P.T "91.

(٢) نشأة الأشعرية وتطورها/ د. جلال محمد موسى / ص١٩٦.

(٣) الترادف هو: ما اختلف لفظه واتحد معناه، أو اشتراك الألفاظ المتعددة في معنى واحد، مثل أسد وليث، وإنسان وبشر. المنطق/ الشيخ. محمد رضا المظفر / ط. دار التعارف للمطبوعات ببيروت / ط. الثانية سنة ١٤٠٥هـــ- ١٩٨٥م/ ص ٤٥ .

(٤) الجناس هو: أن يتفق اللفظان في النطق أو يتقاربا فيه، ويختلفا في المعنى ، هذا من جهة ماهيته ، وأما من جهة فائدته فهو : بيان المعاني بأنواع من الكلام يجمعها أصل واحد من اللغة . أسرار البلاغة/ الجرجاني/ ط. مطبعة وزارة المعارف

ومن هنا : فإن المذهبية العقدية الأشعرية قد جاءت مستوفية لكل المقولات العقدية الكبرى ، والملخصة في التوحيد والنبوة والمعاد والقضاء والقدر .

ولابن خلدون [1] كلام مبسط ومركز عن النسق العقدي والمذهبي للإمام الأشعري ، حيث يقول : " فتوسط – الأشعرى – بين الطرق ونفى التشبيه ، وأثبت الصفات المعنوية ، وقصر التنزيه على ما قصره عليه السلف ، وشهدت له الأدلة المخصصة لعمومه ، فأثبتها بطريق العقل والنقل ، ورد على المبتدعة فى ذلك كله ، وكمل العقائد فى البعثة وأحوال المعاد " [2].

وأما المعالم الكبرى التى سلكها الأشعرى ، فيمكن إبرازها في الآتي: الاحتكام إلى الكتاب والسنة ، وترك الابتداع فى الدين ، والرد على المبتدعة والمخالفين .

بإسطنبول سنة ١٩٥٤ م/ ص ١٣٧ ، وعلم البديع/ محمود المراغي/ ط. دار النهضة العربية للطباعة والنشر ببيروت سنة ١٩٩٩م/ ص ١٣٧ .

(١) هو : ولى الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، ولد بتونس وتوفى بالقاهرة ، دون أفكاره في سبعة مجلدات ، كتبها فى نحو ثلاث سنوات عن تاريخ العرب والبربر بعنوان : كتاب (العبر) ، اشتهر منها المجلد الأول المعروف باسم المقدمة ، والمجلدان الأخيران باعتبارهما أحسن مصادر تاريخ المغرب العربي ، وخاصة البربر . الموسوعة الفلسفية / د. الحفنى / ص١٤.

(٢) مقدمة ابن خلدون / عبد الرحمن بن خلدون المغربي / ط. دار الشعب بالقاهرة / ص٣٦٨.

وأما الضوابط الاعتقادية فهي : " إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه ، وأثبته له رسوله ﷺ ،وترك التكييف والتمثيل والتشبيه ، وترك التأويل [١]، وإجراء الصفات على ظاهرها " [٢] .

وأما فيما يخص تطور المذهب الأشعرى ، فقد عرف : " انتشاراً كبيراً في العالم الإسلامي ، وتلقته الأمة بالقبول ، وعمل العلماء على التوسع في هذا المذهب العقدي ، وإدخال تعديلات ومراجعات فى المذهب ، لا تخرجهم من الإطار العام للمؤسس الأول ، وهذا التطور والنبوغ من علماء المذهب الأشعرى لم يكن مستمداً فقط من معرفتهم بعلوم الدين وحدها ، وإنما استمدوا قوة الحجة والمقدرة على الجدل وعمق الاستدلال

---

(١) التأويل : يطلق فى اللغة على عدة معانى ، منها التفسير والتوضيح ، والجمع ، والمرجع والمصير ، والإصلاح ، وكشف المراد من المشكل ، وفى الاصطلاح : صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله ، إذا كان المحتمل الذى يراه موافقاً بالكتاب والسنة ، أو هو : نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ . يراجع فى ذلك : الإفصاح فى فقه اللغة/ حسن يوسف – عبد الفتاح الصعيدي / ط. دار الفكر العربي / ج١ / ص ٣٠١، وتهذيب اللغة / الأزهري / ط. دار الكتاب العربي سنة ١٩٦٧م/ ج١٥/ ص ٤٦٠ ، والنهاية فى غريب الحديث والأثر/ ابن الأثير / تحقيق . طاهر الزاوي / ط. المكتبة العلمية ببيروت / ج١/ ص ٨٠، والتفسير والمفسرون / الذهبي/ ط. دار الكتب الحديثة /ج١ / ص ١٨.

(٢) معتقد الإمام أبى الحسن الأشعري ومنهجه/ د. عمر سليمان عبد الله الأشقر/ ط. دار النفائس للنشر والتوزيع بالأردن – عمان / ط. الأولى سنة ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م/ ص٧٩: ٩٢.

من معرفة بالمنطق والفلسفة " [١].

والواقع أن الدين من حيث هو نسق من المعتقدات تلجأ إليه الجماعة ، فإنه : " يرضى حاجات نفسية فردية جماعية ، أهمها التماسك والشعور المشترك بوسائل شتى من الشعائر والطقوس والتعاليم المقدسة، فمن هذه الزاوية يملك الدين قدرة تعبوية هائلة ، ينعدم فيها غالباً الشك والتساؤل والانقسام " [٢].

لكل ذلك كان علم الكلام هو : " التمثيل العام للأيديولوجيا [٣] الإسلامية ، فهو القادر على تأطير الحضارة بكل خصوصيتها ؛ من أجل انبعاثه فى عصر التحديات المستجدة " [٤].

يمكن القول إذن : " إن المذهب الأشعري هو مذهب عقدي سنى ،

---

(١) فى علم الكلام (الأشاعرة)/ د. أحمد محمود صبحى / ط. مؤسسة الثقافة الجامعية بالإسكندرية سنة ١٩٧٨م/ ص٤١.

(٢) الدين والثورة في العالم الثالث / د. حيدر إبراهيم على/ ط. دار النيل بالإسكندرية/ ط. الثانية سنة ١٩٩٣م/ ص٧.

(٣) أيديولوجيا: هي علم الأفكار، أو نسق من الأفكار السياسية والخلقية والجمالية والدينية، وهى تساعد على تفسير الأسس الأخلاقية للفعل الواقعي وتعمل على توجيهه، وقد تكون علمية عندما تعبر عن طبقات تقدمية، وغير علمية عندما تعبر عن مصالح طبقات رجعية. المعجم الفلسفي/ د. مراد وهبة/ ص ١٢٦، ١٢٧.

(٤) الطبيعيات فى علم الكلام (من الماضي إلى المستقبل)/ د. يمنى طريف الخولي/ ط. مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة بالقاهرة سنة ٢٠١٤م/ ص٢٧.

استطاع أن يؤسس لنفسه منهجاً مستنيراً لحل كل النقاشات مذهبية وكلامية ، سواء على مستوى الإطار النظري المعرفي للفكر العقدي الإسلامي ، أو على مستوى البناء الاستدلالي الحجاجي لكل الموضوعات العقدية بمنهج علمي [١] دقيق ، ونظرة كلية واستقرائية [٢] للمنظومة العقدية الإسلامية " [٣].

وبذلك يكون الأشعري قد حدد المعالم الكبرى والأصول الأولية التى

---

(١) يعتبر المنهج العلمي هو: طريق البحث عن الحقيقة في أي علم من العلوم ، وقد رسم القرآن الكريم الخطوط العامة لجميع هذه المناهج الحديثة ، فإنه يعتبر أصلاً لكل هذه العلوم ، ويهدى كلاً حسب اختصاصه الدقيق إلى أبحاث جديدة ، ويحقق حالة توظيف إشاراته العلمية بصورة صحيحة ، خدمة للمعرفة الإنسانية والتقدم العلمي. يراجع فى ذلك : أصول البحث العلمي ومناهجه/ أحمد بدر/ ط. المكتبة الأكاديمية بالقاهرة سنة١٩٩٦م/ ص٩٧ ،٩٨ ، وأيضاً: فلسفة العلم/ د. صلاح قنصوه/ ط. مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٣م/ ص ١٨٧.

(٢) الاستقراء: لغة التتبع ، من استقرء الأمر إذا تتبعه لمعرفة أحواله ، واصطلاحاً : الحكم على الكلى لثبوت ذلك الحكم في الجزئي ، والمنهج الأصيل سواء فى العلوم العقدية أو النظرية أو التطبيقية ، هو المعبر عن روح الحضارة للأمة ، فحيث توجد حضارة يوجد منهج ، وهذا ما ميز الحضارة الإسلامية بمنهجها المعبر عن روحها الحقيقية ، والذى صبغ ثقافتها بطابع الأصالة والتجديد . يراجع فى ذلك : مناهج البحث العلمي في الإسلام/ غازي حسين عناية/ ط. دار الجيل ببيروت سنة ١٩٩٠م/ ص١٠١، والمعجم الفلسفي/ د. مراد وهبة/ ص٥٥.

(٣) تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي/ د. يوسف أحنانة / ط. مطبعة اليديني بالرباط سنة٢٠٠٣م/ ص٨٢.

يقوم عليها تفكيره فى مسائل الشريعة والكون ، ابتداء بالأصلين الكبيرين (القرآن والسنة) ، ثم الفهم الحاصل فيهما من اللغة تفسيراً أو تأويلاً ، وهى حالة من الفهم ، يسعى الأشعري من خلالها أن يثبت أصالته الفكرية، بإثبات موافقته للسلف ، وهى حالة من الفهم يمكن أن يصطلح عليها بالعقل الفطري [١].

ومن هنا : فإن الفكر الأشعري تبدو قوته فى المنطلق المنهجي ، الذى يعتمد على فكرة التركيب والجمع ، للخروج بوسطية تسعى فى كل الظروف إلى تحقيق الاستقرار الشامل ، وهو برنامج بدأه الشيخ من محاولة الجمع بين النص والعقل ، وبهذه الطريقة ترسخ المذهب الأشعري كرؤية تسعى إلى الإصلاح ونبذ التصادم ، وبهذه الوسطية المتعالية تمكن المذهب من التمدد والانتشار .

هذه السمات أهلته لأن يكون واحداً من بين كبار العلماء العقديين

---

(١) العقل الفطري هو : قدرة الحدس على إدراك المبادئ الأولى ، وهو يمثل الاستعداد لتقبل المعارف وفهمها ، بينما يحدث العقل الكسبي من الخبرات والتجارب الناتجة من المخالطة ، ويعتبر العقل الفطري هو المرجع والأصل للعقل الكسبى ، إذ إنه يضبط إيقاعه ، ويعقله عن الزيغ أو التمادي مع الهوى . يراجع فى ذلك : النجاة / ابن سينا / ط . مكتبة مصطفى البابي الحلبى بالقاهرة سنة ١٩٣٨م / ص٦٤ ، والتعريفات / الجرجاني / ط. مصطفى الحلبى بالقاهرة سنة ١٩٣٨ م/ ص٤٠ ،= =ومدارج السالكين / ابن القيم / تحقيق . محمد حامد الفقى/ ط. دار الكتاب العربي ببيروت سنة ١٩٧٢م /ج١/ ص ٢٨٩ ، ومعيار العلم / الغزالي / تحقيق د. سليمان دنيا / ط. دار المعارف بالقاهرة / ط . الثانية سنة ١٩٦٩م/ ص٢٢٠.

لمنهج علماء السنة والجماعة ، فانتشر مذهبه شرقاً وغرباً عن طريق تلامذته المباشرين وغير المباشرين ، حتى صار فيما بعد كمنظومة مرجعية ومعيارية عقدية لدول العالم الإسلامي .

المبحث الثاني
ماصدقات[1] مفهوم [2] الفكر الأشعري

عند الحديث عن الفكر الأشعرى باعتباره مفهوماً ، نجد أن ماصدقات هذا المفهوم تندرج فى أمور ثلاثة وهى :

١ ــ يطلق الفكر الأشعرى ، ويراد به الانتشار الجغرافي للأشاعرة (أتباع الشيخ) .

---

(١) الماصدق : يقصد به الفرد أو الأفراد التي ينطبق عليها اللفظ ، إذ يتحقق فيها مفهومه الذهني ، أو هو : المسميات الخارجية التي يصدق عليها اللفظ ، وهو ما يطلق على الأفراد المندرجة تحت مفهوم اللفظ ، والعلاقة بين المفهوم والمصادق عكسية ، بمعنى كلما زاد المفهوم قل الماصدق ، وكلما قل المفهوم زاد الماصدق . يراجع فى ذلك : مقدمات فلسفية / د. علي عبد المعطى محمد / ط. دار المعرفة الجامعية سنة ٢٠٠٢م/ ص٦٩.

(٢) المفهوم : يطلق هذا اللفظ فى اصطلاح المناطقة ، ويراد به مجموعة الصفات والخصائص الذهنية التى يثيرها اللفظ فى ذهن السامع والقارئ ، أي هو ما يفهم من اللفظ أي معناه ، وبذلك يكون المفهوم هو : جملة الصفات التى تكفى لتعريف لفظ ما ، كمفهوم الإنسان هو : الحياة والنطق ، أو هو : جملة الصفات التى يثيرها استخدام اللفظ ، مضافاً إليها المعاني التي تلزم عنها لزوماً منطقياً ، أو هو : جملة الصفات التى يثيرها استخدام لفظ ما عند الفرد أو عند جماعة بالذات . يراجع فى ذلك : المعجم الفلسفي/ د. مراد وهبة/ ص ٦٥٨، وأيضاً: التفكير العلمي ومناهجه/ د. سمير حامد محمد عبد العال/ ط. دار الهلال بأسيوط سنة ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م / ص٤١.

٢ ــ يطلق ويراد به الامتداد الطبيعى للمدرسة الاعتزالية ، ولهذا الماصدق معنى تأصيلياً .

٣ ــ يطلق ويراد به أهل السنة والجماعة ، ولهذا الماصدق معنى اعتقادياً[١] .

أولاً : الفكر الأشعرى والانتشار الجغرافي :

فالأشاعرة انطلقوا من حيث بدأ نجم المعتزلة ينطفئ ، على أن الأشاعرة ليسوا هم السبب فى انهيار المعتزلة ؛ ذلك أن ثمت عوامل متعددة أدت إلى انهيارها ، هذه العوامل ترجع إلى : " رجال المعتزلة أنفسهم من جهة ، وإلى العوامل السياسية والاجتماعية من جهة أخرى ، كما أنها ترجع من جهة ثالثة إلى العوامل الثقافية والدينية التى كانت تتمثل فى سائر

---

(١) الماصدق : يقصد به الفرد أو الأفراد التي ينطبق عليها اللفظ ، إذ يتحقق فيها مفهومه الذهني ، أو هو : المسميات الخارجية التي يصدق عليها اللفظ ، وهو ما يطلق على الأفراد المندرجة تحت مفهوم اللفظ ، والعلاقة بين المفهوم والمصادق عكسية ، بمعنى كلما زاد المفهوم قل الماصدق ، وكلما قل المفهوم زاد الماصدق . يراجع فى ذلك : مقدمات فلسفية / د. علي عبد المعطى محمد / ط. دار المعرفة الجامعية سنة ٢٠٠٢م/ ص٦٩.

(٢) المباحث اللسانية عند الأشاعرة / رزوق نواري/ ص٦٢، ٦٣.

الفرق الأخرى ، وعلى رأسها الأشعري "[١] .

وسواء أكان مذهب المعتزلة قد انهار من الداخل أو من الخارج ، فإننا نستطيع أن نقول : إن القوى الخارجية ما كانت لتستطيع وحدها أن تقضى على المعتزلة ، لو انها وجدت أمامها خصماً قوياً متحد الكلمة ، ويقصد بذلك : " الحركة الانفصالية التى ظهرت بين صفوف المعتزلة ورافقتهم منذ نشأتهم ، وتفاقم خطرها بعد نكبتهم على يد المتوكل ، فكانت من أهم الأسباب التى أضعفتهم وقضت عليهم " [٢] .

وهكذا نرى أن الخلافات الداخلية بين صفوف المعتزلة كانت أقوى من العوامل الخارجية ، إلى حد جعل منهم أن كفر بعضهم بعضاً ، وألفوا كتباً خاصة فى الرد على بعضهم .... إلخ مثل هذه الفضائح التى امتلأت بها كتبهم .

يقول البغدادى[٣]: " وأكثر المعتزلة متفقون على تكفير

---

(١) علم الكلام ومدارسه / د. فيصل بدير عون / ط. دار الثقافة للنشر والتوزيع بالقاهرة / ط. الأولى سنة ١٩٧٦م/ ص ٢٦٤.

(٢) المعتزلة / زهدي جار الله/ ط. مطبعة مصر بالقاهرة سنة ١٩٤٧م/ ص ١٩٤.

(٣) هو: عبد القاهر بن طاهر محمد البغدادى (أبو منصور) فقيه ومتكلم، أصولى وأديب، ولد ببغداد وسكن فى نيسابور، وتوفى بأسفراييين سنة ٤٢٩هـ. معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة / ط. دار إحياء التراث العربى ببيروت / ج٥/ ص٣٠٩.

النظام [١] ... فقد قال بتكفيره أكثر شيوخ المعتزلة منهم أبو الهذيل [٢] فى كتابه المعروف بالرد على النظام ، وفى كتابه عليه فى الأعراض والإنسان والجزء الذى لا يتجزأ ، ومنهم الجبائى [٣] ، أما كتب اهل السنة [٤] والجماعة فى تكفيره فأكثر من أن تحصى " [٥].

وفى وسط هذا المناخ الفكرى العام نشأت الأشعرية ، وكما هو واضح من اسمها أنها تنسب إلى أبى الحسن الأشعري .

---

(١) هو: إبراهيم بن سيار النظام، من أعلام المعتزلة وخاصة البصرة، لأن المعتزلة قد انقسمت بعد أيام الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥هـ إلى فرع البصرة، ومن أعلامه: العلاف والنظام والجاحظ والجبائي وابنه أبو هاشم، ثم فرع بغداد، ومن أعلامه: بشر بن المعتمر وثمامة بن الأشرس وأبو الحسين الخياط. الإرشاد/ الجوينى/ ص٤٥٢.

(٢) هو: أبو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف، رئيس الفرقة الهذلية، وأمره فى الاعتزال مشهور، وقد صنف بعض المعتزلة كتاباً فى تكفيره لما ذهب إليه من الآراء الضالة، وتوفى عام ٢٢٧، أو عام ٢٣٥هـ. الإرشاد/ الجوينى/ ص٩٣.

(٣) هو: أبو على الجبائى، من أعلام معتزلة البصرة، تأول آيات الختم والطبع ونحوها تأويلاً بشعاً، وكان يرى هو وابنه أن الزلات تحبط ثواب الطاعات إذا أربت عليها. الإرشاد/ الجوينى/ ص٤٤٢.

(٤) كفر أهل السنة النظام فى كتب كثيرة، فللشيخ الأشعرى – رحمه الله – فى تكفير النظام ثلاثة كتب، وللقلانسى عليه كتب ورسائل، وللقاضى أبى بكر محمد بن أبى الطيب كتاب كبير فى بعض أصول النظام، وقد أشار إلى ضلالته فى كتاب: أكفار المتأولين.

(٥) الفرق بين الفرق/ البغدادى/ ص١١٤، ١١٥.

ولقد أمضى الأشعري فترة من عمره على مذهب الاعتزال مع أبى علي الجبائي ، ثم ترك هذا المذهب ، وسلك طريق ابن كلاب ونسخ على قوانينه فى الصفات والقدر [١] .

يقول الحافظ محمد بن إسحاق : "ثم انتقل بعد ذلك عن مذهب ابن كلاب إلى مذهب السلف ، فكان يقول بقول الإمام أحمد بن حنبل وأهل الحديث ، يدل لذلك ما جاء فى كتابيه : المقالات ، والإبانة ... ، فقد كان معتزلياً ، ثم كلابياً ، وأخيراً سلفياً " [٢].

ويحدثنا ابن خلدون فى المقدمة عن أتباع الشيخ فيقول : " وكثر أتباعه ، واقتفى طريقته من بعده تلاميذه كابن مجاهد [٣] وغيره ، وأخذ عنهم القاضي الباقلاني [٤] فتصدر للإمامة فى طريقتهم وهذبها ، ووضع المقدمات العقلية التى تتوقف عليها الأدلة والأنظار ، وذلك مثل إثبات

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار/ المقريزى/ ط. مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة / ج٢/ ص ٣٥٨.

(٢) الإيمان/ الحافظ محمد بن إسحاق بن يحيى بن مندة/ تحقيق د. على بن محمد بن ناصر الفقيهى/ ط. مؤسسة الرسالة ببيروت/ ط. الثالثة سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م/ج١/ ص٤١.

(٣) هو: أبو عبد الله بن مجاهد تلميذ الأشعرى هو وأبو الحسن الباهلى، وهما من أساتذة الباقلانى.

(٤) هو: القاضى أبو بكر بن الطيب الباقلانى المتوفى فى عام ٤٠٣هـ، سيف السنة، وأوحد وقته فى فنه، وأفضل المتكلمين المنتسبين إلى الأشعرى، وليس فيهم مثله، لا قبله ولا بعده. شذرات الذهب/ ابن العماد الحنبلى /ج٣/ ص١٦٩.

الجوهر [١] الفرد والخلاء ، وأن العرض لا يقوم بالعرض ، وأنه لا يبقى زمانين ... ، وأن بطلان الدليل يؤذن ببطلان المدلول ، وجملت هذه الطريقة وجاءت من أحسن الفنون النظرية والعلوم الدينية " [٢] .

وجاء بعد الباقلاني ، إمام الحرمين (الجويني) ، وسلك نفس الطريقة، إلا أنه : " عدل عما ذهب إليه الباقلاني من أن بطلان الدليل يؤذن ببطلان المدلول " [٣].

ثم جاء المتأخرون الذين اعتمدوا المنطق ، وأول من اعتمدها الغزالي، ثم سار على نفس المنهج فخر الدين الرازي [٤] .

---

(١) الجوهر: هو ما تحيز بذاته، أى أنه لا يكون تابعاً لغيره فى التحيز، بخلاف العرض فإنه تابع للجوهر فى التحيز، بمعنى أن تحيزه إنما هو بتحيز الجوهر الذى هو محله. الإلهيات من شرح السيد الشريف الجرجانى على المواقف/ تعليق د. سليمان سليمان خميس/ ط. دار الطباعة المحمدية بالقاهرة / ط. الأولى سنة ١٩٦٦م/ ص٧.

(٢) المقدمة/ ابن خلدون/ ص ٤٢٩.

(٣) فى الفلسفة الإسلامية (منهج وتطبيقه)/ د. إبراهيم مدكور/ ط. دائرة المعارف بمصر/ ط. الثالثة سنة١٩٧٦م/ ج٢/ ص٥٢.

(٤) هو: الإمام الكبير شيخ الإسلام الأصولى المتكلم المناظر المفسر ، صاحب التصانيف المشهورة فى الآفاق ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن على، البكرى ، القرشى ، الطبرستانى ، الرازى المولد ، الملقب فخر الدين ، المعروف بابن الخطيب ، الفقيه الشافعى المذهب ، الأشعرى العقيدة ، الملقب بالإمام عند علماء الأصول ، وتوفى رحمه الله سنة ست وستمائة هجرية . محصل أفكار=

وجاء من بعدهما من أمعن فى : " مخالطة كتب الفلسفة ، حتى التبس عليهم شأن الموضوع فى العلمين فحسبوه فيهما واحداً ، من اشتباه المسائل فيهما " (١).

ونظر هؤلاء المتأخرون فى أغلب المواضيع التى بحث فيها الفلاسفة ، إلا أن غايتهم من النظر فيها تختلف عن غاية الفلاسفة ، ذلك أن : " المتكلمين لما كانوا يستدلون على وجود الواجب بما يحتوى عليه هذا العالم من كائنات ، التجأوا إلى النظر فى أقسام الموجودات ، وعرفوا الجوهر والعرض والجسم " (٢).

ويذهب ابن خلدون إلى أن المسائل الفلسفية قد اختلطت بالمسائل العقدية عند المتأخرين من الأشاعرة ، ويضرب لذلك مثلاً هو : (الطوالع) للبيضاوى (٣) ، إذ يقول : " ولقد اختلطت الطريقتان عند هؤلاء المتأخرين ،

=المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين/ فخر الدين الرازى/ تحقيق . طه عبد الرؤوف سعد / ط . مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة / ص٥ :٨.

(١) المقدمة/ ابن خلدون/ ص٤٣٠.

(٢) البيضاوى وآراؤه الكلامية والفلسفية / د. حموده السعفى/ ط. المكتبة الأزهرية للتراث بالأزهر/ ط. الأولى سنة ١٩٨٢م/ ص ٣٩.

(٣) هو: عبد الله بن عمر بن محمد بن على البيضاوى الشيرازى ، الفقيه الشافعى والمتكلم الأشعرى ، يلقب بناصر الدين وقاضى القضاة ، وأبى الخير ، وأبى سعيد، جمع فى تعليمه بين الأصلين الكبيرين ، أصول الدين وأصول الفقه ، وضم علوم العربية والأدب إلى علوم الشريعة والحكمة ، وبذلك قد درج وراء الإمام الغزالى والإمام الرازى ، الذين تكونوا على الأسلوب الأعجمى ، الذى يجمع بين العلوم=

والتبست مسائل الكلام بمسائل الفلسفة ، بحيث لا يتميز أحد الفنين من الآخر ، ولا يحصل عليه طالبه من كتبهم كما فعله البيضاوى فى (الطوالع) ومن جاء بعده من علماء العجم في جميع تآليفهم " [١].

ومن هنا نرى أن : الفكر الأشعري قد انتشر في كافة أرجاء العالم العربي والإسلامي ، وكانت البداية في المسجد الأموي في دمشق الذي احتضن الفكر الأشعري ، وأصبح مركزًا للعديد من علماء الأشاعرة في المشرق ، لينتقل إلى جامع الزيتونة في تونس ، والذي يعد أحد أهم المراكز التي أسهمت في نشر الفكر الأشعري في المغرب العربي .

" وفي عهد دولة السلاجقة [٢] ، وبالتحديد في عهد الوزير نظام الملك الذي

=المختلفة ، وتشهد لنا كتبه التى جاءت فى معارف متنوعة بثقافته الواسعة ، وتأرجحت كتب التراجم فى تحديد سنة وفاته ... ويبدو أن الأقرب إلى الصحة من هذه التواريخ ، هو ما أورده الصفدى وابن كثير ، أنه توفى سنة ٦٨٥هـ . يراجع فى ذلك :مرآة الجنان وعبرة اليقظان / اليافعى اليمنى/ ط. حيدر آباد الدكن بالهند/ ج٤/ ص٢٢٠ ، ودائرة معارف القرن الرابع عشر/ محمد فريد وجدى/ ط. مطبعة الواعظ بمصر سنة ١٣٢٩هـ/ج٢/ ص٤٧٦ ، ومفتاح السعادة/ طاش كوبرى زادة/ ط. دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد الدكن بالهند / ج١/ ص ٤٣٦، والبداية والنهاية/ ابن كثير/ ط. مكتبة المعارف ببيروت/ ط. الرابعة سنة ١٩٨٢م/ ج١٣/ ص٣٠٩ ، وشذرات الذهب / ابن العماد/ ج٥/ ص٣٩٢.

(١) المقدمة/ ابن خلدون/ ص ٤٣٠.

(٢) دولة السلاجقة هي: واحدة من الدول الكبرى في تاريخ الإسلام وإقليم وسط آسيا، لعبت دورًا كبيرًا في تاريخ الدولة العباسية والحروب الصليبية والصراع=

اهتم ببناء المدارس وربط المساجد ببعضها ، والذي كان يرفع من شأن العلماء ، زاد انتشار مذهب الأشعري ، وقد تم تدريس المنهج الأشعري في مدرسة بغداد النظامية ونيسابور النظامية ، وكانت المدرسة النظامية أكبر جامعة إسلامية في العالم الإسلامي وقتها ، فلم تأت الحروب الصليبية إلا وكان المذهب الأشعري قد ساد المشرق بشكل غير مسبوق "[١] .

" ولقد شكل قضاء السلطان صلاح الدين علي دولة الفاطميين في مصر وتحويل الأزهر الذي كان على مذهب الإسماعيلية [٢] إلى مذهب أهل السنة

=الإسلامي البيزنطي. يراجع : أخبار الدولة السلجوقية / صدر الدين الحسيني/ ترجمة . محمد إقبال / ط. دار الآفاق الجديدة ببيروت سنة ١٩٨٤ م/ ص ٢، ٣ ، وتاريخ الترك في آسيا الوسطى / بارتولد / ط . مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٥٨م / ص ٤٥.

(١) ينظر في ذلك : الكامل في التاريخ / ابن الأثير / ط. بيت الأفكار الدولية/ ج ٩/ ص٤٧٧ : ٤٨١،والنجوم الزاهرة / ابن تغري بردي/ ط. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة / ج٥ / ص٢٤، وطبقات الشافعية الكبرى / السبكي / تحقيق. محمود الطناحي ، وعبد الفتاح الحلو /ط . مطبعة الحلبي بالقاهرة / ج٣ /ص ١٣٨، وأيضًا: دولة السلاجقة / د. علي الصلابي / ط . دار ابن الجوزي بالقاهرة /ص٥٢٣: ٥٣٤ .

(٢) الإسماعيلية هم : أتباع الإمام إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق المولود سنة ١١٠ هـ في المدينة المنورة ، وهو الابن الأكبر للإمام جعفر وأحبهم إليه ، وصاحب النص الإمامي والقائم فيه في حياة أبيه عندما كان له من العمر خمسة وثلاثون عامًا ، وإليه ينتسب الإسماعيليون ، وتغلب عليهم اسمه . يراجع في ذلك : فضائح الباطنية / الغزالي / تحقيق د. نادي فرج درويش / ط . المكتب الثقافي=

والجماعة على منهج الأشاعرة في العقيدة ؛ لحظة فارقة في نشر منهج الأشاعرة ، والذي ساعده على الانتشار الواسع في معظم أنحاء العالم العربي والإسلامي " [١] .

" وفي بلاد المغرب العربي ، كان ليوسف بن تاشفين [٢] مؤسس دولة المرابطين ، دور كبير في نشر المنهج ، حيث كان وطيد الصلة مع علماء الأشاعرة ، فابن رشد الجد [٣] (الملقب بشيخ المالكية) وهو من

=بالجامع الأزهر / ص١٦، وأيضًا: تاريخ الدعوة الإسماعيلية / د. مصطفى غالب / ط. دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت/ ص١٢٣.

(١) تاريخ الجامع الأزهر / محمد عبد الله عنان / ط. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر / ط. الأولى سنة ١٣٦١هـ / ص١١٢، ١١٣.

(٢) هو أبو يعقوب يوسف بن تاشفين بن إبراهيم اللمتوني الصنهاجي ، أمير المرابطين ، ولد سنة ٤٠٠هـ ، وتوفي سنة ٤٥٦ هـ بمراكش المغرب ، قائد وأمير مسلم وحد المغرب ، وضم الأندلس تحت ملكه وسلطته ، تولى إمارة دولة المرابطين ، واستطاع إنشاء ولاية إسلامية تمتد بين مملكة بجاية شرقًا إلى المحيط الأطلسي غربًا ، وما بين البحر المتوسط شمالاً حتى السودان جنوبًا . يراجع : التاريخ الدبلوماسي للمغرب / عبد الهادي التازي / ط. مطابع الفضالة / ط. الأولى سنة١٩٨٧ م/ج٥/ ص٧، والمجلة الأردنية للتاريخ والآثار / المجلد السادس – العدد الثاني سنة ٢٠١٢ م / ص٦ .

(٣) هو :أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي المشهور بابن رشد الجد ، ولد سنة ٤٥٠هـ وتوفي سنة٥٢٠ هـ ،شيخ المالكية وقاضي الجماعة بقرطبة ، وهو جد الفيلسوف ابن رشد ، ويعتبر من الفقهاء الذين خدموا الدولة المرابطية وأثروا الحركة العلمية عندها بالعديد من الفتاوى التي ساهمت في تسيير دولة=

الأشاعرة، كان قاضي القضاة زمن المرابطين ، وأبي عمران الفاسي [١] الذي يعد العقل المدبر لتأسيس دولة المرابطين ، كما أن أبا بكر بن العربي[٢] ، وهو من أهم علماء المالكية ، وممن كان يعتمد عليهم ابن تاشفين ، كان من تلاميذ الغزالي الذي كان أهم علماء المشرق في ذاك

=المرابطين . يراجع : سير أعلام النبلاء / الذهبي /ج١٩ / ص٥٠١ ، ٥٠٢ ، والحركة العلمية والثقافية عند المرابطين / علية الأندلسي / نشر ميثاق الرابطة سنة ٢٠١٠ م ، وابن رشد الجد / تحقيق . محمد حجي / ط. دار الغرب الإسلامي ببيروت / ط. الأولى سنة ١٩٨٤ م / المقدمة .

(١) هو: أبو عمران موسى بن عيسى بن أبي حاج الغفجومي المعروف بأبي عمران الفاسي ، ولد بفاس سنة ٣٥٦هـ ، وتوفي بالقيروان سنة ٤٣٠ هـ ، فقيه وحافظ ومحدث أصولي مالكي ، ترك أثرًا كبيرًا في تاريخ بلاد المغرب خلال العصر الوسيط ، وأسهم في إحداث تغييرات جذرية في انتماءات بلاد المغرب الفكرية والمذهبية . شجرة النور الزكية في طبقات المالكية / محمد بن محمد مخلوف / تحقيق . علي عمر /ط. مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة / ط. الأولى سنة ٢٠٠٦م/ ج١ / ص٢٥٥ .

(٢) هو: محمد بن عبد الله بن محمد المعافري المشهور بالقاضي أبي بكر بن العربي الإشبيلي المالكي، وهو غير محي الدين بن عربي الصوفي، ولد في إشبيلية سنة ٤٥٨ هـ ، وتوفي سنة ٥٤٣هـ بفاس بالمغرب ، فقيه مالكي المذهب ومن حفاظ الحديث . يراجع في ذلك : شذرات الذهب / ابن العماد / ج٤/ ص١٤١ ، وأيضًا : الإمام المازري / حسن حسني عبد الوهاب / ط. دار الكتب الشرقية بتونس سنة ٢٠١٥م/ ص ٤٩ : ٥٥ .

العصر " [1] .

وبعد أن استقر المغرب وانطفأت فيه الفتن ، بدأت حواضر علمية عدة في تبني منهجية تعليمية تنافس نظيراتها في المشرق ، خاصة في : " تدريس عقيدة أهل السنة والجماعة وفق منهج الأشاعرة ، وأبرز هذه الحواضر هي جامع الزيتونة بتونس ، وجامعة القزوين بفاس ، ومن أبرز علماء الأشاعرة في المغرب الإسلامي ، الطرطوشي [2] ، والمازري [3] ،

---

(١) ينظر في ذلك: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي / يوسف إحنانة / ص٧٠ ، ٧٢ وأيضًا : كفى تفريقًا للأمة باسم السلف / د. عمر عبد الله كامل / ط. دار الرازي للطباعة والنشر والتوزيع بالأردن / ط. الثالثة سنة ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م / ص ١٩ ، وأيضًا : قيام دولة الموحدين / د. عقيلة الغناي / منشورات جامعة قاريونس / ص ٤٩ ، وأيضًا : الاستقصا لأخبار دول الغرب الأقصى / الناصري / ط. الدار البيضاء سنة ١٩٥٤ م/ ج١ / ص ١٤٠ .

(٢) هو أبو بكر محمد بن الوليد بن خلف، المعروف بأبي بكر الطرطوشي أو ابن أبي رندقة (٤٥١ – ٥٢٠هـ) فقيه مالكي ، صاحب كتاب سراج الملوك في سلوك الملوك . يراجع : سير أعلام النبلاء / ج١٩/ ص ٤٩٠ ، وشذرات الذهب / ج٦ / ص١٠٢ ، ووفيات الأعيان / ابن خلكان/ تحقيق د. حسن عباس / ط. دار صادر / ببيروت سنة ١٣٩٨هـ / ج٤ /ص٢٦٢.

(٣) هو: أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي المازري ، إمام المالكية في عصره ، ومن المحدثين المشهورين ، بلغ درجة الاجتهاد حتى سمي بالإمام ، ولد سنة٤٥٣هـ بالمهدية بتونس ، وتوفي سنة ٥٣٦ هـ ، ودفن في المنستير بتونس . يراجع : سير أعلام النبلاء / الذهبي / ج٢٠/ ص١٠٤ ، ١٠٧ ،ووفيات الأعيان / ابن خلكان / ج٤ / ص ٢٨٥ .

والباجي[١] ، والقاضي عياض [٢] ، والقرطبي [٣] ، والقرافي [٤] ،

---

(١) هو :أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي (٤٠٣ – ٤٧٤هـ) ، فقيه مالكي ومحدث وقاض وشاعر أندلسي ، له العديد من التصانيف مثل : الاستيفاء ، والمنتقى في شرح الموطأ ، والسراج في علم الحجاج ، ومسائل الخلاف ، وإحكام الفصول في أحكام الأصول . يراجع: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب / ابن فرحون / ط. مطبعة المدينة سنة ١٩٧٢م/ ج١ / ص ٣٧٧: ٣٧٩.

(٢) هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض السبتي اليحصبي (٤٧٦ – ٥٤٤هـ) قاضي مالكي ، عالم وفقيه ومؤرخ ، كان من بين العارفين بعلوم عصره ، ومن أهم مؤلفاته : إكمال المعلم ، الشفا ، الإعلام، ترتيب المدارك ، التنبيهات . سير أعلام النبلاء / الذهبي / ج٢٠ / ص ١٢، ١٣.

(٣) هو : محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح ، كنيته أبو عبد الله ، ولد بقرطبة بالأندلس ، وانتقل إلى مصر ، واستقر بمنية بني خصيب (المنيا) حتى وافته المنية سنة ٦٧١هـ ، ويعتبر من كبار المفسرين ، وكان فقيهًا ومحدثًا ، مالكي المذهب ، أشعري العقيدة ، ومن أهم مؤلفاته : الجامع لأحكام القرآن . طبقات المفسرين / الداودي / ط. دار الكتب العلمية ببيروت سنة ٢٠١٢م / ج٢/ ص٦٥ ، ٦٦ ، والديباج المذهب / ابن فرحون / ص ٣١٧ .

(٤) هو : شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي العلاء إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي المصري ، ولد سنة ٦٢٦هـ ، وتوفي سنة ٦٨٤ هـ ، وكان ملمًا بعلوم شتى كالفقه والأصول واللغة والأدب وعلم المناظرة والطبيعيات وله معرفة بالتفسير . يراجع : الأعلام / الزركلي / ط. دار العلم للملايين ببيروت / ط. الخامسة عشر سنة ٢٠٠٢ م/ ج١ / ص٩٤ ، ٩٥ ،ومعجم المؤلفين / كحالة / ج١ / ص ١٥٨ .

والشاطبي [١] ، وعبد الواحد بن عاشر [٢] ، وأحمد زروق [٣] ،

---

(١) هو : أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي ، من علماء الأندلس ، شهد له العلماء بمآثره العديدة ، ولد بغرناطة ولم يعلم أنه غادرها ، وتوفي سنة ٧٩٠هـ ، ومن أهم مؤلفاته : الإفادات ، الإنشادات ، الاعتصام ، الموافقات ، المقاصد الشافية . يراجع : شذرات الذهب / ابن العماد / ج٤ / ص ٣٠٢ ، ووفيات الأعيان / ابن خلكان / ج٤ / ص٧٢ .

(٢) هو :أبو محمد عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر الأنصاري ، فقيه وعالم من المغرب ، يعد من أبرز علماء المذهب المالكي ، بالإضافة إلى باب العقيدة والتصوف ، ولد بفاس بالمغرب سنة ٩٩٠هـ ، وتوفي بها سنة ١٠٤٠هـ ، ومن أهم مؤلفاته : قواعد الإسلام الخمس ، مبادئ التصوف ، شرح موارد الظمآن ، تقييد على العقيدة الكبرى للسنوسي . يراجع : نشر المثاني / القادري / تحقيق . محمد حجي / نشر مكتبة الرباط / ط. الأولى سنة ١٩٧٧م/ ج١ / ص ٢٨٣ .

(٣) هو : أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي المعروف بزروق (٨٤٦ – ٨٩٩هـ) ، الفقيه المالكي المعروف ، صاحب الشروحات المعتمدة عند المالكية ، ومن أهم من اعتنى بجانب التربية والسلوك في الكتابات الإسلامية ، ولد بالمغرب ، وتوفي بمصراته ، وتأثر بابن عطاء الله السكندري ، أشعري العقيدة ، ومن أهم مؤلفاته : قواعد التصوف ، عدة المريد ، شرح أسماء الله الحسنى . يراجع : الأعلام / الزركلي /ج١ / ص٩١ .

والسنهوري[1] " [2] .

ونخلص من هذا إلى أن : السمة الرئيسة التى يتسم بها الفكر الأشعرى هى : (إخضاع العقل للدين) ، صحيح أنهم فهموا الدين بالعقل ودافعوا عنه بالعقل ، إلى جانب دفاعهم عنه بالنقل ؛ إلا أنهم فى المسائل التى وجدوا أن العقل يتعارض فيها مع النقل ، نحوا بها جانباً ، أو على الأقل أخضعوه لحكم النقل .

ولهذا فإنهم : " لم يضعوا أصولاً للعقيدة الإسلامية تقوم على العقل – كما فعل المعتزلة – بل وضعوا منهجاً يقوم أساساً على النقل ، لأنهم رأوا أن الكتاب والسنة صريحان وواضحان فى هذه المسألة ، وما على العقل البشرى إلا أن يضع القواعد المنهجية التى يصل من خلالها إلى هذه

---

(١) هو : نور الدين أبو الحسن على بن عبد الله السنهوري ، الفقيه المالكي النحوي الأصولي ، (٨١٤ – ٨٨٩هـ) الأشعري المعروف بالسنهوري . يراجع: كشف الظنون / ج٢ / ص١٧٩٧ ، وهدية العارفين /ج١ / ص ٧٤١ ، ومعجم المؤلفين / ج٧ / ص ٦٣ ، والأعلام / ج٤ / ص ٣٠٧ .

(٢) ينظر في ذلك : ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك / القاضي عياض / تحقيق د. محمد بتشريفة / ط. وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية / ج٤ / ص ٣٢١ ، ٤٣٠ ، ٤٧٧ ، وج٥/ ص٢٤ ، وأيضًا : المغرب عبر التاريخ / د. إبراهيم حركات / ط. دار الرشاد الحديثة سنة ٢٠٠٠ م/ج١/ ص ١٧٨ ، والاستقصا / ج١ / ص ٦٢ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١٧٤ .

الأصول وفهمها والدفاع عنها " [١].

ومن هنا : فقد حظى الفكر الأشعرى بمكانة متميزة فى تاريخ الكلام عند المسلمين ، نظراً لما اشتهروا به أنهم أصحاب الفكر المعبر عن التصور الإسلامى فى إطاره الأصيل ، الذى يعتمد فى المقدمة على الكتاب والسنة ، وإخضاع العقل لحكم النقل فى المسائل الخلافية ، التى يمكن أن تؤدى إلى فساد فى الدين ، وليس أدل على ذلك من أن الأشعرى قد اقتفى أثره من بعد تلاميذ كثيرون .

ثانياً : الفكر الأشعري (الامتداد الطبيعي للمدرسة الاعتزالية) .

كان الأشعري فى أول حياته على مذهب الاعتزال ، ثم تراجع بعد ذلك وتبرأ من أقوالهم التي كانوا يقولون بها ، كقولهم بخلق القرآن [٢] ، وأن

---

(١) علم الكلام ومدارسه / د. فيصل بدير عون / ص٢٧١.

(٢) قالت المعتزلة : إن القرآن هو كلام الله المحدث ، دون أن تفرق بين الكلام كصفة إلهية أزلية ، والكلام الحرفى الذى يمثل تلك الصفة فى القرآن ، ورفض أهل النص رفضاً باتاً كل تفسير من هذا النوع ، ولكنهم خلطوا بدورهم بين الكلام الإلهى الأزلى والنص البشرى المتجلى فى الزمان ، ويأتى موقف الأشعرى كحل وسط بين هذين الموقفين ، فهو يرى أن طبيعة الكلام سواء أكانت بشرية أم إلهية، لا تعود فقط كما يرى المعتزلة إلى أصوات وكلمات تلفظ وتحكى ، بل إنها أيضاً حديث نفس ، وهى بهذا مستقلة بذاتها عن الحديث اللفظى ، وعندما يقول الأشعرى بقدم القرآن فهو يعنى بذلك الصفة الإلهية ، ولكن القرآن أيضاً مؤلف من كلمات ، وهو مكتوب ، ومن هذه الوجهة يرى الأشعرى أنها فعل زمنى=

مرتكب الكبيرة فى منزلة بين المنزلتين [١] ، وغير ذلك .

فلقد كان الإمام الأشعري يعيش فى كنف المعتزلة ، فهو : " ربيب إمام من أكبر أئمتهم ، ألا وهو أبو على الجبائي ، فهو زوج أمه ، تتلمذ عليه منذ نعومة أظفاره ، حيث لقنه أصول المعتزلة وطريقتهم قبل أن يشتد عوده ، فهو لا جرم تلميذه المقرب ، ظل يلازمه ويأخذ عنه لا يفارقه أربعين سنة ، حتى وصل الأمر بالجبائي أنه كان ينيبه فى بعض المجالس العلمية والمناظرات بديلاً عنه ، فالأشعري تمرس في طريقة المعتزلة حتى تبحر فى كلام الاعتزال ، وبلغ مكانة مرموقة لديهم ، وصار يشار إليه بالبنان ، ولكنه كان ذا عقل منير وفطرة سليمة ، كما كان باحثاً عن الحقيقة دون تعصب " [٢].

" وجاء خروج الأشعرى على المعتزلة فى وقت قويت شوكتهم العلمية – رغم زوال سلطتهم السياسية – وبدأ نفوذهم يعاود بسط سيطرته من جديد ، فى غياب مناظر يسفه آراءهم ، وينسف أسسهم ، ويبدى عوار

=مخلوق على عكس ما يعتقده أهل النص . تاريخ الفلسفة الإسلامية/ كوربان/ ص١٨٥.

(١) المنزلة بين المنزلتين: هذا المبدأ هو الذى سبب الشقاق بين واصل بن عطاء، وبين أستاذه الحسن البصرى، وقد حصل الخلاف حول مفهوم مرتكب الكبيرة. المصدر السابق / ص ١٧٨.

(٢) إمام أهل الحق (الأشعرى)/ عبد القادر محمد حسين/ ص١٠٥، ١٠٦.

بعض أصولهم الفكرية الوافدة " [١].

ولقد تبنت المصادر أسباباً عدة لهذا التحول الفكرى فى حياة الأشعرى ، من أهمها : تلك المسائل والإشكاليات التى صادفته ، والتى لم يجد لها جواباً عند شيخه الجبائى ، الأمر الذى أوقعه فى حيرة وتشكك فى مذهب المعتزلة، بصورة جعلته غير راض عنه بالمرة .

وبوجه عام يمكن تحديد دواعى الموقف المعارض الذى اتخذه الأشعرى من المعتزلة ، والذى أدى به إلى التحول كما يذكر المستشرق هنرى كوربان بأمرين أساسيين :

" (١) أن منح العقل أهمية مطلقة لا يفضى إلى دعم الدين، كما زعم المعتزلة، بل على العكس قد يفضى إلى نفى الدين، أو إلى استبدال الإيمان بالعقل.

(٢) يؤكد القرآن فى كثير من آياته على الإيمان بالغيب كمبدأ أساسى فى التصور الدينى ، إذا انهارت معه أركان الدين ، والغيب هذا أمر يجاوز حدود الفكر البشرى ونطاق البراهين العقلية ، فاتخاذ العقل إذن كمقياس مطلق فى أمور العقيدة يتنافى والحالة هذه مع مبدأ الإيمان بالغيب " [٢].

---

(١) تبيين كذب المفترى / ابن عساكر / ص ٣٩.
(٢) تاريخ الفلسفة الإسلامية / هنرى كوربان / ص ١٨٣.

هذا، ويصف أحد الفقهاء المالكيين [١] حال المعتزلة وخصومهم بقوله: " أعظم ما كانت المحنة – المعتزلة – زمن المأمون والمعتصم ، فتورع من مجادلتهم أحمد بن حنبل ، فموهوا بذلك على الملوك وقالوا لهم: إنهم – يعنون أهل السنة – يفرون من المناظرة لما يعلمونه من ضعفهم عن نصرة الباطل ، وأنهم لا حجة بأيديهم ، وشنعوا بذلك عليهم حتى امتحن فى زمانهم أحمد بن حنبل وغيره ، فأخذ الناس حينئذ بالقول بخلق القرآن ، حتى ما كانت تقبل شهادة شاهد ، ولا يستقضى قاض ، ولا يفتى مفت ، لا يقول بخلق القرآن ، وكان فى ذلك الوقت من المتكلمين جماعة [٢] لم ير أحد منهم أن يطأ لأهل البدع بساطاً ، ولا أن يداخلهم ، فكانوا يردون عليهم ، ويؤلفون الكتب فى إدحاض حججهم ؛ إلى أن نشأ بعدهم وعاصر بعضهم بالبصرة أبو الحسن الأشعرى ، وصنف فى هذا العلم لأهل السنة التصانيف ، وألف لهم التآليف ، حتى أدحض حجج المعتزلة وكسر شوكتهم ، وكان يقصدهم بنفسه يناظرهم " [٣] .

لقد كان خروج الأشعرى عن المعتزلة : " الضربة الأخيرة التى

---

(١) هو: الفقيه المالكى، أبو عبد الله محمد بن موسى بن عمار الكلاعى الميورقى، صاحب كتاب الأعلام، نقل عنه عياض فى المدارك، وابن عساكر فى تبيين كذب المفترى، وكان حسن العبارة، جيد القريحة. جامع بيان العلم / ابن عبد البر/ تحقيق. الشيخ شعيب الأرناؤوط / ط. دار الكتب العلمية ببيروت/ ج٢/ ص٩٠٥.

(٢) مثل: عبد العزيز المكى، والحارث المحاسبى، وعبد الله بن كلاب وغيرهم.

(٣) تبيين كذب المفترى / ابن عساكر / ص١١٦.

قضت عليهم ، وآذنت بتواريهم ، كانت الضربة الأولى موقف الإمام أحمد من قضية خلق القرآن ، ووقوفه مع ثلة من العلماء فى وجه تحالف المعتزلة والسلطة السياسية " (١).

وبالرغم من أن هذه الضربة هزمت المعتزلة أمام الأمة ؛ إلا أنها لم تكن قاضية ، لأنها لم تدخل فى جدل مع الاعتزال ، ولم تهزمه فكرياً ، ولذا بدأ الاعتزال بعد محنة خلق القرآن يسترجع قوته ونفوذه .

أما ضربة الأشعرى فكانت قاضية ، لأنها : " هزت الفكر من أساسه، حيث جادلته ببعض أدواته ، ومن حينها لم يقف الاعتزال على رجليه قط ، بل ووارى التراب من بعد ذلك " (٢).

وبذلك يكون الأشعرى قد : " وضع حداً لهيمنة المعتزلة ، مظهراً لعقائد أهل السنة على مخالفيهم بحجج وأساليب كانا كفيلين بأن يعيدا لأهل السنة حضورهم بعد أن نازعهم المعتزلة " (٣).

وقد عرض الشيخ / محمد أبو زهرة (٤) منهج الإمام الأشعرى فى

---

(١) الإمام أبو الحسن الأشعرى ومؤلفاته / عبد الواحد جهدانى/ ط. دار الكتب العلمية ببيروت سنة ١٩٧١م/ ص٣٦.

(٢) تبيين كذب المفترى/ ابن عساكر/ ص٩٤.

(٣) الكامل فى التاريخ/ ابن الأثير / ص ٢٠٩.

(٤) هو: الإمام محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد بن عبد الله، المولود فى عام ١٣١٦هـ =١٨٩٨م فى المحلة الكبرى، تنقل رحمه الله فى عدة مناصب بين كلية أصول الدين، والحقوق، وتدرج فى مراتب التدريس إلى أستاذ، ثم إلى رئيس قسم الشريعة، إلى أن أحيل إلى التقاعد عام ١٩٥٨م، واختير عضواً بمجمع البحوث=

مسائل الاعتقاد فقال : " وقد سلك فى الاستدلال على العقائد مسلك النقل والعقل ، فهو يثبت ما جاء به القرآن والسنة من أوصاف الله ورسوله واليوم الآخر والملائكة ، ويتجه إلى الأدلة العقلية والبراهين المنطقية يستدل بها على صفات الله ، وقد استعان فى ذلك بقضايا فلسفية ومسائل عقلية خاض فيها الفلاسفة وسلكها المناطقة " (١).

فهذا دليل واضح على أن النص عند الأشعرى يتقدم على العقل ، والسبب الذى دعا الأشعرى إلى اتخاذ هذا الموقف الوسط بين المعتزلة والحشوية كما يراه الشيخ أبو زهرة : " أنه تصدى للمعتزلة والحشوية والروافض والباطنية وسائر فرق الإلحاد ، وهؤلاء لا يقطعهم إلا دليل العقل" (٢).

والسؤال المطروح بنفسه هنا ؛ لماذا لم يقبل أهل الحديث الأشعرى حين ظهر بمنهجه هذا الذى يزاوج بين العقل والنقل ؟ وقد كان لنصرة أهل السنة .

ويبدو أن السبب فى ذلك راجع إلى : " كراهية أهل الحديث لعلم الكلام والمتكلمين ، وقد كان الأشعرى متبحراً فى علم الكلام ؛ وقد يكون ذلك راجعاً- أيضاً – إلى نشأة الأشعري فى أحضان المعتزلة ، وأخذه عنهم

=الإسلامية بالأزهر عام ١٩٦٢م. مقدمة كتابه (ابن تيمية) / محمد محمود الخضرى/ ص٥.

(١) ابن تيمية (حياته وعصره – آراؤه وفقهه) / الشيخ محمد أبو زهرة / ط. دار الفكر العربى بالقاهرة سنة ١٩٩١م/ ص١٦١.

(٢) نشأة الأشعرية وتطورها / د. جلال موسى / ص٢٠١.

طرق الجدال والنقاش " [١].

وعلى أية حال : فإن للأشعرى اتباعاً كثيفاً عندما أدخل على معتقدات فرقة أهل الحديث تعديلات وإصلاحات ؛ بإضافة العنصر العقلى فى البرهان والإثبات .

ذلك أن : " أهل الحديث كانوا يحرمون الخوض فى العقائد الإسلامية عن طريق تقديم الأدلة العقلية والبراهين الفلسفية ، ويكتفون بالمعانى الظاهرية للنصوص حتى لو خالفت المنطق والعقل ، وهم بذلك على عكس المنهج الاعتزالى الذى يعطى العقل الوزن الأكبر فى إثبات العقائد ، وتأويل الآيات والروايات فى حال مخالفة معانيها الظاهرية للمنطق العقلى " [٢].

وقد لاقت إصلاحات المذهب الأشعرى قبول عامة الناس والسلطة الحاكمة ؛ حتى أصبح مذهب الأشعرية ، المذهب الرسمى للدولة العباسية .

وانطلاقاً من هذا ، نستنتج أن الأشعرى لم يكن تلميذاً إمعه ، فمن ناحية قد اعترف بالعقل الذى انتصر له المعتزلة ، وجعله مساعداً لفهم النص ورديفاً له ، لا بديلاً عنه [٣] ، ومن ناحية أخرى آمن بالنص الذى

---

(١) نشأة الأشعرية وتطورها / ص٢٠٠.

(٢) العقيدة الإسلامية والقضايا الخلافية عند علماء الكلام (دراسة مقارنة) / د. كمال الدين نور الدين مرجونى/ ط. دار الكتب العلمية ببيروت سنة ١٩٧١م/ ص١٨١.

(٣) إحقاقاً للحق ينبغى أن أقول: إذا كان الشيخ الأشعرى قد باين الطريقة الاعتزالية على خلفية تقديم النص على العقل ؛ فهذا لا يعنى أن النص عند المعتزلة لم يكن معمولاً به كما يدعى الخصوم، بل جل ما فى الأمر أنهم أعطوا الحاكمية للعقل=

زعم الحشوية التمسك به .

لقد رأى الأشعري أن : العقل وإن لم يكن فيه العصمة ، ففيه القسمة التي لا غناء عنها لبنى البشر ، وفيه الحجة لله عليهم ، أو كما قال تعالى : (أفلا تعقلون) (١).

" لكنه أعمل النص فى مجاله ، والعقل فى مجاله ، دون أن يجحف بحق واحد منهما ، حين يدخله فى غير مجاله ، وبذلك دان جمهور المسلمين بهذا المذهب " (٢).

ولما كان الأشعرى بصيراً بأصول المعتزلة ومسالكهم الجدلية والمنطقية ، أمكن له بعد تركه الاعتزال أن يناظرهم بنفس سلاحهم ، بالإضافة إلى قواعد النصوص الشرعية .

ومن هنا : " كان له فضل كبير على انتصار مذهب السلف ؛ إذ كان

=على النص. ظهر الإسلام / أحمد أمين/ ط. مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة سنة ٢٠١٢م/ج٤/ ص٧٦٧.

(١) ورد هذا اللفظ فى القرآن ثلاث عشرة مرة ، ففي البقرة – في الآيات ٤ ، ٧٦ ، وفى آل عمران – فى الآية ٦٥ ، وفى الأنعام – الآية ٣٢ ، وفى الأعراف – الآية ١٦٩ ، ويونس– الآية ١٦ ، وهود – الآية ٥١ ، ويوسف – الآية ١٠٩ ، والأنبياء – الآية ١٠ ، ٦٧ ، والمؤمنون – الآية ٨٠ ، والقصص – الآية ٦٠ ، والصافات – الآية١٣٨.

(٢) إمام أهل الحق (الأشعري)/ عبد القادر محمد حسين/ ص١٠٦.

شجاً فى حلوق المعتزلة فى مجادلتهم مع السلف [١] ، وكان الإمام الصيرفى[٢] يقول : كانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى أظهر الله تعالى الأشعرى فحجزهم فى أقماع السمسم " [٣].

لقد نقض الإمام الأشعرى مذهب المعتزلة من الداخل ، لأنه كان خبيراً بدقائق ذلك المذهب ، عارفاً بدخائله ، وأعاد للعلوم الإسلامية بريقها المعروف ، فانطوى المفسرون والفقهاء والمحدثون ومعظم علماء الإسلام تحت لوائه ؛ فصار إمام أهل السنة .

---

(١) الاستدلال فى علم الكلام (الأشعرى)/ يوسف مدرارى/ نشر مركز نماء للبحوث والدراسات/ ط. الأولى سنة ٢٠٢٠م/ ص٨٢، وأيضاً: أبو الحسن الأشعرى بين المعتزلة والسلف / هادى أحمد على طالبى / ط. السعودية سنة ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م/ ص ٣٩، ٤٠.

(٢) هو: الفقيه الشافعى الشيخ محمد بن عبد الله البغدادى ، أبو بكر الصيرفى (٣٣٠هـ – ٩٤٢م) ، نسبته إلى الصيرفى ، وهو من يصرف الدنانير والدراهم ، عالم فى الفقه الشافعى ، قال عنه القفال : كان أعلم الناس بالأصول بعد الشافعى ، ومن مصنفاته : البيان فى دلائل الأعلام ، وشرح الرسالة للشافعى ، والاجماع ، والشروط . يراجع فى ذلك : الفهرست/ ابن النديم/ ص٢٦٧ ، وطبقات الفقهاء/ الشيرازى/ ص١١١ ، وتاريخ بغداد / ج٥/ ص٤٤٩ ، ووفيات الأعيان /ج٤/ ص١٩٩ ، والكامل/ ابن الأثير/ ج٨/ ص٣٩٢ ، وطبقات الشافعية / الإسنوى/ ج٢/ ص٣٣.

(٣) تاريخ بغداد/ الحافظ البغدادى ت سنة٤٦٣هـ / ط. مطبعة السعادة بالقاهرة/ط. الأولى سنة ١٣٤٩هـ/ج١١/ ص٣٤٧، وأيضاً: سير أعلام النبلاء/ ج١٥/ ص٨٦، وتبيين كذب المفتري/ ص٩٤.

ومن أبرز معالم طريقته ، ومواطن قوتها وجاذبيتها التى جذبت إليها كبار أهل العلم على اختلاف العصور والبلاد ، أنه : " لا تعارض بين العقل والنقل ، لأن مصدرهما واحد من عند الله ، وإن حصل خلاف بينهما ، فلا بد أن يكون ثمت خلل ما ، والخلل يعود إلى الفهم وليس للعقل أو النقل ، ويعتبر منهج الشيخ قائم على الموضوعية ، وعلى اعتماد جميع الأدلة ، فهو ينظر إلى القرآن كأنه آية واحدة ، وإلى السنة كذلك ، دون أن تحكمه الانتقائية "(١).

وانطلاقاً من هذا : قام الأشعرى بالتوفيق بين الأدلة القرآنية ، وإيضاح ما قد يتوهمه الجاهل تعارضاً بينهما ، أو بينها وبين العقل ، وهذه علامة مميزة نجدها عند جميع أتباع الشيخ وظاهرة فى كتبهم .

وفى تقديرى لهذه المسألة ، أن الفكر الأشعرى لم يوجد كحالة مناقضة للمعتزلة إلا فى الظاهر ، أما فى الجوهر فهى عبارة عن مراجعة ضرورية داخل حركة البحث العقلى فى الثقافة الإسلامية ، بلغت حداً من النضج احتاجت معه إلى التعريف بالعقل والنص ، ورسم الحدود لكل منهما، حتى لا يطغى أحدهما على الآخر .

ثالثاً : الفكر الأشعرى (أهل السنة والجماعة) :

ذكرنا فيما سبق : أن الشيخ الأشعرى هجر الاعتزال حقيقة ، ثم اتبع منهج ابن كلاب ، حيث كان هذا المذهب شائعاً وذائعاً فى البصرة التى نشأ فيها ، وقد كان هذا المذهب بالرغم ما فيه من انحرافات ما عن مذهب السلف ؛ إلا أنه كان يمثل آراءهم فى البصرة .

---

(١) إمام أهل الحق (الأشعرى)/ عبد القادر محمد حسين / ص ٥٥، ٦١.

من أجل ذلك : انكشف للشيخ بطلان بعض القضايا التى انحرف فيها ابن كلاب عن السلف ، كما استبان له بطلان بعض القضايا التى انحرف فيها المعتزلة ، ومن هنا هجر الشيخ المذهبين ، وقد ساعده على ذلك انتقاله إلى بغداد ، وفيها عظماء السلف يستفيد منهم ويستهدى بهم ، فأضحى سلفياً خالصاً ، وهذه هى المرحلة الثالثة .

فى هذه المرحلة أثبت ما جاء فى الكتاب والسنة ، منتسباً إلى الإمام أحمد بن حنبل وأهل السنة وأصحاب الحديث كما ذكر ذلك هو وأصحابه فى كتبهم .

والمتتبع لتاريخ المذهب الأشعرى ، ومراحل تطوره ، فى رجالاته ، ونظرياته ، وآلياته الفكرية ، يدرك أبعاد التكوين الفكرى ، والأثر التربوى الذى يمكن أن : " يعود على الدارسين المعاصرين بفوائد متعددة ، سواء فى بناء عقليتهم ، فهماً وتدبراً ، واتساعاً ووعياً ، أو فى صقل شخصيتهم، حركة ومرونة ، وتفاعلاً وتجاوباً ، ولعل هذا هو أحد الأسباب فى أن كثيراً من خريجى المعاهد والكليات التى تعتمد المذهب الأشعرى ضمن مناهجها ، يتميزون فى المحافل العلمية ، والبيئات الأكاديمية ، والمؤسسات الفكرية ، بهدوء الفكر ، وعمق التأثير ، وسرعة الانتشار ، مما يخدم الثقافة الإسلامية على جميع مستوياتها " [1].

---

(١) أثر الأسس الفكرية للمذهب الأشعرى فى الدعوة الإسلامية المعاصرة / بسيونى محمد نحيلة/ مجلة علوم الشريعة والقانون بجامعة قطر / المجلد ٤٥ /العدد ٤- ملحق ٣سنة ٢٠١٨م/ ص٢٣٦.

هذا ، ومن أبرز ما برع فيه الأشاعرة ، فكأنهم جاءوا على قدر ، فى وقت قد ساد فيه الكلام والجدال والتفلسف والتشدق ؛ فكان للمبتدعين والمضلين – يومها – رؤوس رفعت ، ورايات رفرفت ، فجاء الأشعرى بالحجة البالغة ، والصرامة فى البيان ، والحسم فى القضية ، فعرف (بناصر السنة) .

يقول السبكي [١] عنه : "هو مقرر لمذاهب السلف ، مناضل عما كانت عليه صحابة الرسول، واعلم أننا لو أردنا استيفاء مناقب الشيخ الأشعري ، لضاقت بنا الأوراق ، وكلت الأقلام ، ومن أراد معرفة قدره فعليه بكتاب تبيين كذب المفتري للحافظ بن عساكر " [٢].

ومن أشهر مناظرات الأشاعرة ، ما تم بين أبى الحسن الأشعري وأستاذه الجبائي ، فى أسماء الله تعالى ، ومسألة رؤية الله ﷻ [٣].

---

(١) هو: أبو الحسن على بن عبد الكافي بن على ... السبكى الخزرجى الأنصارى، (٦٨٣ – ٧٥٦هـ) الفقيه الشافعى، الأصولى المتكلم، النحوى اللغوى، يلقب بشيخ الإسلام وقاضى القضاة، وهو والد الفقيه تاج الدين السبكى. ينظر فى ترجمته : مرآة الجنان / اليافعى / ج٢ / ص٢٥٧ ، والدرة المضية / ص٢ ، ٣ ، وطبقات الشافعية/ ابن قاضى شهبة /ص٨٣ ، ومجموعة رسائل ابن عابدين /ج١/ ص٣٢٤ .

(٢) طبقات الشافعية / السبكي / تحقيق. محمود الطناحي ، وعبد الفتاح الحلو / ط. مطبعة الحلبى بالقاهرة / ج٣ / ص٢٣١، ٣٤٩.

(٣) عيون المناظرات/ عمر السكونى/ تحقيق. سعد غراب / ط. منشورات الجامعة التونسية سنة ١٩٧٦ م/ ص٢٢٩.

فقد فاجأ الأشعرى الجميع : " بقوة الحجة ، واستحضار الدليل ، وسرعة البديهة ؛ مما جعل هذا المناظرة سبباً فى ظهوره ، وظهور مذهب أهل السنة فى زمانه إلى اليوم ، وبمثل هذا النوع من المناظرات والمحاورات ، استطاع الأشاعرة أن يبطلوا مقالات القدرية(١)، والكرامية (٢) ، وأن يفضحوا عوار الجهمية (٣)

---

(١) القدرية : من القدرة بمعنى الاستطاعة ، وأن الإنسان مريد لأفعاله ، قادر عليها ، ومن ثم محسوبة عليه ، وهى بهذا المعنى مرادفة لمذهب حرية الإرادة ، أو أنها من القدر ، وترادف الجبرية ، وتقول بالقضاء والقدر ، والمعنى الأول اشتهر فى الفلسفة الإسلامية ، وكان المعتزلة قدريين ، بينما كانت المجبرة فرقة إسلامية ، وكان الجهم بن صفوان يلخصها فى قوله : لا فعل لأحد فى الحقيقة إلا الله . الموسوعة الفلسفية/ د. الحفنى / ص٣٥٨.

(٢) الكرامية: فرقة كلامية تنتسب إلى الإسلام ، ظهرت فى النصف الأول من القرن الثالث الهجرى ، وتنسب إلى مؤسسها وصاحبها الأول محمد بن كرام السجستانى ، ويعد قوله فى الإيمان أشهر أقواله البدعية، حيث زعم أن الإيمان هو القول باللسان فقط ، وتعد هذه الفرقة من الفرق المجسمة . يراجع فى ذلك : ميزان الاعتدال / ج٤/ ص٢٢ ، وتاج العروس/ج٩/ ص٤٣، والفرق بين الفرق/ البغدادى/ ص٢١٥ ، والأعلام الزركلى/ ج١/ ص٢٨٩ ، وأصول الدين/ البزدوى/ ط. هانز بيترلس – القاهرة سنة ١٩٦٣م/ ص٢١ ،٢٢.

(٣) الجهمية: تنسب هذه الفرقة إلى مؤسسها جهم بن صفوان ، خراسانى ، نشأ فى سمرقند ، وقضى زمناً فى ترمذ ، ثم رحل إلى الكوفة ، وقد ذهب إلى الجبر وخلق القرآن ، ونفى علم الله بما يجد من الأمور حتى يكون ويحدث فعلاً ، وكذلك زعم أن الجنة والنار تفنيان ، وقد قتل جزاء بدعته عام ١٢٨هـ ، وقيل عام ١٣٢هـ. يراجع فى ذلك :الإرشاد/ الجوينى/ ص٩٦ ، والانتصار / الخياط/ تقديم . محمد=

والجبرية [١] ، وأن يسكتوا المعتزلة والفلاسفة ، وأن يخرصوا كل متجرئ على السنة وأهلها " [٢].

ولله در علماء الأمة اليوم ، وهم يواجهون حملات التشكيك [٣] الشرسة ، والأفكار الإلحادية [٤]

=حجازى/ نشر مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة سنة ١٩٨٨م/ ص٤٦ ، وميزان الاعتدال / الذهبى/ تحقيق . على محمد البجاوى/ ط. القاهرة سنة ١٣٢٥هـ – ١٩٠٧ م/ج١/ ص ١٩٧.

(١) الجبر هو: نفى الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الله تعالى ، والجبرية هم أصحاب مذهب الجبر ، والجبرية أصناف : الجبرية الخالصة – وهى التى لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً ، والجبرية المتوسطة – هى التى تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً ، ويعرف المعتزلة الجبرى بأنه : من لم يثبت للقدرة الحادثة أثراً فى الإبداع والإحداث استقلالاً ، وكان الجهم يلخصها فى قوله : لا فعل لأحد فى الحقيقة إلا الله ، وأهم فرقهم : النجادية والضرارية والكلابية والبكرية . الموسوعة الفلسفية / د. الحفنى/ ص١٥٢.

(٢) أثر الأسس الفكرية للمذهب الأشعرى / بسيونى محمد / ص ٢٣٨.

(٣) الشك هو: التردد بين نقيضين لا يرجح العقل أحدهما على الآخر، وذلك لوجود أمارات متساوية فى الكل ، أو لعدم وجود أيه أمارة فيهما ، ويرجع تردد العقل بين الحكمين إلى عجزه عن معاناة التحليل ، أو إلى قناعته بالجهل ، ولذلك قيل : إن الشك ضرب من الجهل ، إلا أنه أخص منه . شرح المقاصد / التفتازانى/ تحقيق د. عبد الرحمن عميرة / ط. عالم الكتاب ببيروت / ط. الأولى سنة ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩م/ ص٢٢٤.

(٤) الإلحاد: لغة :الميل والعدول عن الشيء ، وقيل : الميل عن القصد ، واصطلاحاً : لفظ يطلق عند المسلمين على المتحلل من الأديان كالدهرية والزنادقة والباطنية=

والعلمانية [1] المأجورة ، دون أن يكونوا محصنين بسند قوى من مهارات المحاورات العقلية ، والمناورات الذكية ، مع التمكن من الأدلة العقلية والبراهين المنطقية الدامغة ، ومن معالجات ذلك : أن يرتبطوا بتراث الأمة الفكرى ، وأن يكونوا على دراية بخبرات الأعلام السابقين الذين انتهجوا طرق المحاورة ، وبرعوا فى أدوات المناظرة ، ومن أهم ما يمكن الاعتماد عليه فى هذا الجانب تراث المدرسة الأشعرية ، الذى يحوى المصنفات المتخصصة فى المناظرات العقدية ، وخير مثال لذلك ، كتاب : (اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع) للإمام الأشعري .

=وغيرهم ، وقال الزمخشرى :ألحد فلان فى قوله ودينه ، لأنه أمال مذهبه عن الأديان كلها ، وأما الدراسات الحديثة فقد خصصت إطلاق لفظة الإلحاد على إنكار وجود الله دون باقى المعانى . يراجع فى ذلك : لسان العرب/ ابن منظور/ج٣/ ص٣٩٠ ، وتاج العروس/ الزبيدى/ ط. دار الهداية / ج٩/ ص ١٣٤، ومفاتيح الغيب/ الرازى/ ط. دار إحياء التراث العربى ببيروت/ ط. الثالثة سنة ١٤٢٠هـ/ ج٧/ص٢٧١ ، والكشاف / الزمخشرى/ ط. دار إحياء التراث العربى ببيروت/ ط. الثالثة سنة ١٤٠٧هـ/ج٢/ ص٦٣٥، والمعجم الفلسفى / د. جميل صليبا /ج١/ ص١١٩.

(١) العلمانية: مجموعة من المعتقدات التى تتركز حول أن الدين لا يجب أن يشارك فى الجوانب السياسية والاجتماعية مع أى دولة، وتعرف بأنها النظام الفلسفى السياسى أو الاجتماعى الذى يرفض أي شكل من اشكال الدين، وتشير إلى التوجه المادى للحياة دون الجانب الغيبى. يراجع فى ذلك : دراسات فى الفلسفة الحديثة / د. زكريا إبراهيم / ط. مكتبة مصر بالقاهرة / ص ٢٣ ، وتمهيد للفلسفة/ د. محمود حمدى زقزوق/ ط. دار المعارف بمصر / ص ١٦٦.

ومما يحسب للأشاعرة فى مذهبهم ، ويرفع من قدرهم فى عين المنصفين من ناقديهم [١] ، ويعزز من مصداقيتهم فى عين أتباعهم ؛ المراجعات الجزئية لآرائهم ، وليس أدل على ذلك من موقف الشيخ فى قصة تحوله عن الاعتزال.

ولعل هذا المسلك هو : ما دعا ابن تيمية [٢] للإشادة بالأشعرى فى

---

(١) من الغريب حقاً: أن الذين يخاصمون الأشاعرة ظاهراً وباطناً فى أحقيتهم بهذا الوصف (أهل السنة) لا يسلمون لهم بهذه الشرعية ، ويصفونهم كغيرهم من الفرق الذين تشعبت بهم السبل ، وأشدهم فى ذلك النصيون ، ولعل أكثر ما يعتمد عليه هؤلاء مسألة الصفات وتأويلها ، وقد مثل هؤلاء فى عصرنا الحاضر ما لقبوا بالوهابيين ، والغريب فى الأمر ، أن الأشاعرة يدخلونهم فى طوق السنية ، فى حين يصر الوهابيون على خروجهم من مجال السنية وإلحاقهم بالفرق الأخرى ، وبالرغم من تكاثر خصوم الأشاعرة ، إلا أن القاعدة النظرية التى نستقرئ فيها وقائع التاريخ تحكم للأشاعرة بهذا الوصف (أهل السنة) دون منازع ، وذلك من حيث كثرة الأتباع والعلماء والمفكرين المنتمين إلى هذه المدرسة ، ومدى تأثيرها فى أتباع المذاهب الفقهية ، وكذلك تبنى المعرفة الأشعرية فى المؤسسات الرسمية للدول الإسلامية قديماً وحديثاً . يراجع فى ذلك : أهل السنة (الأشاعرة) وشهادة علماء الأمة / د. محمد حسن هيتو/ ط. دار الضياء للنشر والتوزيع بالكويت/ ط. الأولى سنة ١٤٢٧هـ / ص ٥، والمباحث اللسانية عند الأشاعرة / ص٢٧ :٢٩.

(٢) هو: شيخ الإسلام، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد بن تيمية الحرانى نسبة إلى حران بالشام (٦٦١ – ٧٢٨هـ)، وهو الإمام النابه رأس المدرسة السلفية، وكان يناقش الفرق الإسلامية من منطلق سلفى حنبلى كالخوارج والمرجئة. الموسوعة الصوفية / د. الحفنى/ ص ٨٨ ،٨٩ .

(منهاج السنة النبوية) بقوله : " وهذا مما مدح به الأشعرى ؛ فإنه بين من فضائح المعتزلة وتناقض أقوالهم وفسادهم ، مالم يبينه غيره ، لأنه كان منهم ، وكان ذكياً ، ثم إنه رجع عنهم ، وصنف فى الرد عليهم ، ونصر فى الصفات طريقة ابن كلاب ، لأنها أقرب إلى الحق والسنة من قولهم " (١).

ثم يقول فى (الفتاوى) أيضاً : "إن من زعم أن الأشعرى ألف الكتب التى وافق فيها أهل الحديث والسنة ، إنما ألفها تقية (٢) وإظهاراً لموافقة أهل الحديث والسنة من الحنبلية وغيرهم ، فقد افترى عليه ، فإنه لم يوجد له قول باطن يخالف الأقوال التى أظهرها ، فدعوى المدعي أنه كان يبطن خلاف ما يظهر دعوى مردودة شرعاً وعقلاً " (٣).

---

(١) منهاج السنة النبوية/ ابن تيمية/ ج٥/ ص ٢٧٧.

(٢) التقية: لغة معناها الحذر، وفى الاصطلاح: إظهار خلاف الواقع فى الأمور الدينية بالقول أو الفعل لحفظ النفس أو المال أو العرض، ويرى ابن تيمية أن التقية هى: أن يقول الرجل بلسانه ما ليس فى قلبه، كما أخبر الله تعالى عن المنافقين. يراجع فى ذلك : منهاج السنة النبوية / ص٢١٣ . وفجر الإسلام/ أحمد أمين/ ط. مكتبة النهضة المصرية / ص ٢٧٤، وإسلامنا/ د. مصطفى الرافعى/ ط. مؤسسة الأعلمى ببيروت / ص ١٣٢.

(٣) الفتاوى / ابن تيمية / ط. مطابع الرياض/ ط. الأولى سنة ١٣٨٢هـ /ج٢/ ص٢٠٤.

وهذا الذى ذكره ابن تيمية ؛ قرره تلميذه ابن القيم [١] حيث قال : " ولما رجع الأشعري عن مذهب المعتزلة ، سلك طريقة ابن كلاب ، ومال إلى أهل السنة والحديث ، وانتسب إلى الإمام أحمد ، كما ذكر ذلك فى كتبه كالإبانة والموجز والمقالات وغيرها " [٢].

ويضاف إلى مثل هذا الأنموذج الفريد للأشعري ؛ ما نقله الإمام الذهبي [٣] عن إمام الحرمين (الجوينى) ، والذى يعد من المجددين داخل المذهب ، أنه انتقد على الأشاعرة – وهو علم من أعلامهم – مسائل ،

---

(١) هو: (٦٩٤- ٧٥١هـ) محمد بن أبى بكر بن أيوب بن حريز الزرعى الدمشقى، شمس الدين بن قيم الجوزية، تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، هذب كتبه ونشر علمه، وله مصنفات كثيرة مرغوب فيها بين الطوائف، منها: أعلام المعوقين، وزاد المعاد، والطرق الحكمية. يراجع فى ذلك : الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة / الحافظ بن حجر العسقلانى ٨٥٢هـ/ تحقيق . محمد سيد جاد الحق / ط. دار الكتب الحديثة / ط. الثانية سنة ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م/ ج ٤ – ترجمة رقم ٣٥٨٦/ ص٢١: ٢٣.

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية / ابن القيم / ط. مطبعة الإمام بالقاهرة / ص١٩٨.

(٣) هو: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز شمس الدين الذهبى (٦٧٣- ٧٤٨هـ)، وهو من العلماء الذين دخلوا ميدان التاريخ من باب الحديث النبوى وعلومه، وظهر ذلك فى عنايته الفائقة بالتراجم التى صارت أساس كثير من كتبه، ومحور تفكيره التاريخى. يراجع فى ذلك : سير أعلام النبلاء / الذهبى/ المقدمة ، والوافى بالوفيات / الصفدى /ج٢/ ص١٦٤، وتاريخ الإسلام/ الذهبى / تحقيق د. بشار عواد / ط. دار الغرب الإسلامى ببيروت / ط. الأولى سنة ٢٠٠٣م/ج١/ ص٥ : ٢١.

وردها عليهم ، وتبحر فى علم الكلام حتى بلغ الغاية فيه ، إلا أنه رجع عنه أخيراً ، وقال فى مرضه الذى مات فيه : " اشهدوا على أنى قد رجعت عن كل مقالة تخالف السنة ، وأنى أموت على ما يموت عليه عجائز نيسابور " (١).

وعند التعمق في دراسة المذهب الأشعري ، يجد الباحث نفسه أمام موسوعة فكرية غزيرة ، لا تعرض لرؤية واحدة فى الفكر والعلم ، ويظهر ذلك من خلال كثرة مؤلفاتهم ، وسرعة بدهيتهم ، وقوة حججهم ، ومن أبرز أئمة المذهب الذين يذكرون فى هذا الباب ، الإمام الرازى .

يقول السبكي : " قال الرازي فى وصيته فى آخر حياته : اعلموا أنى كنت رجلاً محباً للعلم ، فكنت أكتب من كل شيء شيئاً لأقف على كميته وكيفيته ، سواء أكان حقاً أو باطلاً... ، ولقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية ، فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها فى القرآن ، لأنه يسعى فى تسليم العظمة والجلال لله ، ويمنع عن التعمق فى إيراد المعارضات والمناقضات ... ، وأما الكتب التى صنفتها ، واستكثرت فيها من إيراد السؤالات ، فليذكرني من نظر فيها بصالح دعائه ، على سبيل التفضل والإنعام ، وإلا فليحذف القول السيء ، فإني ما أردت إلا تكثير البحث وشحذ الخاطر " (٢).

ولعل هذا هو الدرس الذى يمكن أن يتعلمه الدارسون للمذهب

---

(١) سير أعلام النبلاء / الذهبى / ج١٨/ ص٤٧٤.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى / السبكى/ ج٨/ ص ٤٨.

الأشعري، عندما يقرأون عن المراحل الثلاث [١] التى مر بها الشيخ ، حتى وصل إلى ما وصل إليه من فكر السلف ، واعتقد أنه لا يمكن لأى شخص أن يمر بهذا الارتقاء الفكرى ، إلا إذا كان مصاحباً للعلم بجميع فروعه ، واعياً ومدركاً لدقائقه ، ممحصاً ومفنداً لنظرياته وقواعده ، متفاعلاً معه لآثاره وحقائقه [٢].

هذه هى بعض ملامح هذا الماصدق ، والذى له معنى اعتقادياً ، فى صياغة شخصية الباحث المعاصر ، وبناء عقله وفكره ، بما يؤهله لأن يكون باحثاً معاصراً ، يؤثر بالفكر ، ويدعو بالحكمة ، ويقبل عند مدعويه ، ويحترم من معارضيه ، ويحصنه من المفاجآت الفكرية ، والمداخلات العلمية ، وكل ذلك فى ضوء قاعدة الالتزام بالأصول ، والاعتماد على القواعد ، والثوابت الشرعية.

(١) ينظر: تبيين كذب المفترى/ ابن عساكر / ص٤١.
(٢) أثر الأسس الفكرية للمذهب الأشعرى/ بسيونى محمد/ ص ٢٤٠.

المبحث الثالث

أنماط ونماذج من مظاهر الوسطية والاعتدال في الفكر الأشعري

يعد هذا (الماصدق) من أهم ما يمكن أن يميز به المذهب الأشعري وأتباعه ، ذلك أنهم اتخذوا من الحكمة الواضحة ، والحجج المقنعة ، طريقاً وسطاً فى إثبات الأمور العقدية ،فلم يقعوا فى إفراط المعتزلة ، ولا تفريط المجسمة والمشبهة ، وإنما توسطوا بينهما .

ويشرح الغزالي فى صدر كتابه : (الاقتصاد فى الاعتقاد) ، مذهب الوسطية هذا الذى التزمه الأشعري قائلاً : " الحمد لله الذي اجتبى من صفوة عباده عصبة الحق وأهل السنة (الأشاعرة) ، وخصهم من بين سائر الفرق بمزايا اللطف والمنة ، وأفاض عليهم من نور هدايته ما كشف به عن حقائق الدين ، وأنطق ألسنتهم بحجتهم التى قمع بها ضلال الملحدين ... ،واطلعوا على طريق التلفيق بين مقتضيات الشرائع وموجبات العقول ، وعرفوا أن من ظن من الحشوية ، وجوب الجمود على التقليد واتباع الظواهر ، ما أتوا به إلا من ضعف العقول وقلة البصائر ، وأن من تغلغل من الفلاسفة وغلاة المعتزلة فى تصرف العقل حتى صادموا به قواطع الشرع ؛ ما أتوا به إلا من خبث الضمائر ، فميل أولئك إلى التفريط ، وميل هؤلاء إلى الإفراط ، وكلاهما بعيد عن الحزم والاحتياط " [(١)].

---

(١) الاقتصاد فى الاعتقاد / الغزالى/ تحقيق. محمد مصطفى أبو العلا / ط. مكتبة الجندى بالقاهرة سنة ١٩٧٢ م/ ص٧.

ويقول الحافظ بن عساكر فى وصف هذه المدرسة : " إن مذهبهم أوسط المذاهب ، ومشربهم أعذب المشارب ، ومنصبهم أكرم المناصب ، ورتبتهم أعظم المراتب "(١).

ويلخص مذهبهم – أيضاً – الإمام / محمد عبده (٢) بقوله : " لقد سلك الأشعري مسلكه الوسطى المعروف بين موقف السلف وتطرف من خالفهم ، وأخذ يقرر العقائد على أصول النظر " (٣).

إن ما بذله الأشاعرة من وقت وجهد فى مجالسة المعارضين لأفكارهم، وما أنتجوه من براهين وحجج فى محاورة المجادلين ، ليعد من أكبر الدلائل

---

(١) تبيين كذب المفترى/ ابن عساكر / ص٣٩٨.

(٢) ولد الإمام: محمد عبده فى عام ١٢٦٦هـ –١٨٤٩م ، لأب تركمانى الأصل ، وأم مصرية تنتمى إلى قبيلة بنى عدى العربية ، ونشأ فى قرية محلة نصر بمحافظة البحيرة ، انتقل إلى الدراسة بالأزهر فى عام ١٨٦٥ م ، وتلقى فيها علومه المختلفة ، حتى حصل على شهادة العالمية عام ١٨٧٧م ، وكان ينتمى فى تيار حركة الإصلاح إلى المحافظين الذين يرون أن الإصلاح يكون من خلال نشر التعليم بين أفراد الشعب والتدرج فى الحكم النيابى ، وفى ٣ يونيو ١٨٩٩ م صدر مرسوم خديوى ، ووقعه الخديوى عباس حلمى بتعيين الشيخ مفتياً للديار المصرية ، وتوفى رحمه الله عام ١٨٤٩هـ– ١٩٠٥م. يراجع فى ذلك : الإمام محمد عبده والقضايا الإسلامية / د. عبد الرحمن بدوى/ ط. مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠٠٥م/ ص١٧ : ٢٥.

(٣) رسالة التوحيد / محمد عبده / ط. المطبعة الأميرية الكبرى ببولاق مصر الحمية – نشر دار المعارف بمصر/ ط. الأولى سنة ١٣١٥هـ / ص ١١.

على الاعتراف بالفكر الآخر ، ومحاولة صادقة للوصول إلى الآخر عبر الحجاج والحوار ، يلمس ذلك كل من قرأ تراث الأشاعرة الفكرى [١] ، الذى ضم كثيراً من المناظرات والحوارات العلمية الدقيقة ، والجولات الساخنة مع الكلاميين والفلاسفة والدهريين والملاحدة والزنادقة [٢] ... وغيرهم[٣].

ولقد تم ذلك فى مجالس ولقاءات مطولة ومتكررة ؛ حتى وجدت آذاناً سمعتها ، وعقولاً تدبرتها ، وقلوباً ارتضتها فى كثير من الأحيان ، ومما يلاحظ فى ذلك براعة الأشاعرة فى استخدام كثير من أدلة وطرق المناطقة والفلاسفة فى الجدل والمحاورة ، مما يدل على معرفتهم بطرق الآخر معرفة إحاطة واستيعاب ، ولقد أهلهم ذلك لقوة الحوار ، والإقناع فى المناظرة ، والإفحام فى الحجاج .

ومن مظاهر التوسط والاعتدال في الفكر الأشعري في تناول القضايا ، أذكر جملة من المسائل العقدية ، مشيرًا إلى البعض منها فأقول :

---

(١) من ذلك: اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع للأشعرى، وتهافت الفلاسفة للغزالى ... وغيرها.

(٢) الزنادقة: جمع زنديق ، وهو من يظهر اعتناق الإسلام ، ولكنه يستبطن معه عادات وتقاليد وأفكار دينه السابقة ، كالذين حرقهم أمير المؤمنين على ﷺ ، والمانوية ، والثنوية ، وغيرهم ، ويرجح من تعريفات الزنديق أنه : ما ظهر منه ما يدل على كفره الذى يبطنه بقلبه ، كالطعن فى الشريعة ، والقدح فى القرآن والسنة ، ونحو ذلك . يراجع فى ذلك : الزنادقة وموقف أئمة المسلمين منهم / د. سعد العريفى/ ط. دار التوحيد بالرياض / ط. الأولى سنة ١٤٣٤ هـ/ ج١/ الفصل الأول .

(٣) أثر الأسس الفكرية للمذهب الأشعرى / بسيونى محمد / ص٢٣٧.

أولاً : مسألة وجوده سبحانه وتعالى .

ذهبت النجارية [١] إلى أنه سبحانه بكل مكان من غير حلول ولا جهة ، ومعنى ذلك أن النجار يرى معنى أنه موجود ، أنه يريد إثباته : " لا بمعنى العلم والقدرة ، ويشير بهذا التفصيل إلى مقالة إثبات وجود الله، وأن الله في كل مكان، وأن ذاته في كل مكان " [٢].

وهذه المسألة كانت حاضرة عند المعتزلة، واختلفوا في إثباتهم لها، فقال بعضهم: " إن الله موجود في كل مكان، أولوها بمعنى العلم والقدرة،

---

(١) هم :أصحاب الحسين بن محمد بن عبد الله النجار ، رئيس فرقة النجارية ، وإليه نسبتها ، كان حائكًا ، وقيل كان يعمل الموازين ، نشأ في قم ، وكثر أتباعه بالري ، وافترقت من النجارية ثلاث فرق : البرغوثية ، والزعفرانية ، والمستدركة ، ومن أشهر معتقداته أنه قال : بنفي عذاب القبر ورؤية الله ، وقال بخلق القرآن ، وأن كلام الله حادث ، وإذا قرئ فهو عرض ، وإذا كتب فهو جسم ، وأن الله خالق فعل العبد ، وأن الاستطاعة مع الفعل ، وتوفى سنة ٢٢٠هـ . يراجع في ذلك: الدر الثمين / ابن السباعي / تحقيق. أحمد بنبين ، ومحمد حنشي / ط. دار الغرب الإسلامي بتونس / ط. الأولى سنة ١٤٣٠هـ / ص ٣٥٠ ، وأيضًا : الفهرست / ابن النديم / تحقيق . إبراهيم رمضان / ط. دار المعرفة ببيروت / ط. الثانية سنة ١٤١٧هـ / ص ٢٢٣، وأيضًا: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم / المقدسي / ط. دار صادر ببيروت / ط. الثالثة سنة ١٤١١هـ / ج١ / ص ٣٩٥ .

(٢) مقالات الإسلاميين / الأشعري / ج١ / ص ٢٣٦.

ومنهم من فسر وجود الله في كل مكان، أي أنه حافظ للأماكن " [١].

ولعل سبب ضلال النجار في مسألة الصفات ؛ وخاصة في مسألة وجوده تعالى ؛ هو : " متابعته لجهم بن صفوان ، الذي أخذ مذهبه من الصابئة [٢] ، والسُمنية [٣] ، وفلاسفة اليونان "[٤].

وقالت الحشوية والمجسمة بالتجسيم المادي للذات المقدسة ، حيث إنه من وجهة نظر هؤلاء حال في العرش ، وأن العرش مكان له ، وهو

---

(١) مقالات الإسلاميين / ج١ / ص ٢٨٦.

(٢) الصابئة هي: التي صبئت، أي مالت عن الديانة الحنيفية إلى عبادة الكواكب والنجوم باعتبارها وسائط تقرب أهلها إلى الله زلفى. يراجع في ذلك: لباب التأويل في معاني التنزيل / الخازن / ط. مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر / ط. الثانية سنة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م/ ج١ / ص ٥٤ ،ونشأة الفكر الفلسفي في الإسلام / د. النشار / ج١/ ص ٢١٦ .

(٣) السمنية : بضم السين وفتح الميم ، هم المنسوبون إلى (سومنات) اسم صنم كان في بلاد الهند ، أو نسبة إلى بلدة يقال لها سومان بالهند ، وقال صاحب الفهرست : إنهم منسوبون إلى سمني ، وبالجملة فهم قوم من عبدة الأوثان قائلون بالتناسخ ، وبأنه لا طريق إلى العلم سوى الحس . يراجع في ذلك : مختار الصحاح / الرازي / تحقيق . أحمد العوامري / ط. المطبعة الأميرية بالقاهرة / ط. السابعة سنة ١٣٥٣هـ/ ص ٣١٥ ، والفهرست / ابن النديم / ص ٤٨٤ ، وشرح المواقف / الجرجاني / ط. دار الكتب العلمية ببيروت / ط. الأولى سنة ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م/ حاشية الجلبي / ج١/ ص ٢٢٥ .

(٤) درء تعارض العقل والنقل / ابن تيمية / تحقيق د. محمد رشاد سالم / ط. مطبعة بولاق بالقاهرة سنة ١٩٧١م/ ج٧/ ص ٢٧٨.

جالس عليه .

فسلك الإمام الأشعري طريقًا وسطًا بينهما فقال : " كان ولا مكان ، فخلق العرش والكرسي ولم يحتج إلى مكان ، وهو بعد خلق المكان كما كان قبل خلقه " (١).

وبذلك : فإن أهل السنة يثبتون لله وجودًا ، وذاتًا مباينة عن خلقه ، وأنها ذات تليق به ، فلا مثيل له ولا شبيه ، ولا كفؤ له سبحانه ، وأنه مستو على عرشه فوق سماواته ، لا يحاط به شيء ، وأنه موجد كل شيء وخالقه .

يقول ابن القيم في مسألة وجوده تعالى : " تفرد الحق تعالى بالوجود أزلاً وأبدًا ، وأنه الأول الذي ليس قبله شيء ، والآخر الذي ليس بعده شيء ، ووجود كلما سواه قائم به وأثر صنعه ، فوجوده هو الوجود الواجب الحق ، الثابت لنفسه أزلاً وأبدًا ، وأنه المتفرد بذلك " (٢).

ثانياً : مسألة الذات والصفات .

كانت مشكلة العلاقة بين الذات والصفات إحدى المشكلات الكلامية التي شغلت مفكري الإسلام منذ المراحل الأولى لعلم الكلام ، فقد اختارت بعض التيارات الكلامية التعطيل والتبطيل مذهبًا لها كالجهمية والمعتزلة

---

(١) مقالات الإسلاميين / الأشعري / ج١/ ص ٢٨٦، ٢٨٧.
(٢) مدارج السالكين / ابن القيم / ج٣ / ص٣٦.

والروافض الذين نادوا بنفي الصفات القديمة ، وقدمت بعض التيارات كالحشوية والمجسمة الذات الإلهية في صورة مادية بحتة ، تنتهي ضرورة إلى جعلها مشابهة لصفات المخلوق ، وهو الأمر الذي أنكره الإمام الأشعري بشدة ، وقد سلك في هذا الصدد طريقًا وسطًا بين هذين الاتجاهين ، فأثبت صفات قديمة فقال : " إن لله علمًا لا كالعلوم ، وقدرة لا كالقدر ، وسمعًا لا كالأسماع ، وبصرًا لا كالأبصار ، على أساس أنها صفات أزلية ونعوت أبدية " (١) .

وحجة الإمام الأشعري في كون الباري تعالى لا يشبه المخلوقات أنه: " لو أشبهها لم يخل من أن يشبهها من كل الجهات أو من بعضها ، فإن أشبهها من جميع الجهات كان محدثًا مثلها من جميع الجهات ، وإن أشبهها من بعضها كان محدثًا من حيث أشبهها ، ويستحيل أن يكون المحدث لم يزل قديمًا ، وقد قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(٢)، وقال تعالى : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ (٣) " (٤) .

بل إن الإمام الأشعري يعد هذا الأصل (عدم مماثلة الخالق للمخلوق) من الأمور المجمع عليها عند السلف ، لأنه تعالى : " لو كان شبيهًا لشيء

---

(١) تبيين كذب المفتري/ ابن عساكر/ ص١٤٩.
(٢) سورة الشورى / من الآية ١١.
(٣) سورة الإخلاص / الآية ٤.
(٤) رسالة إلى أهل الثغر / الأشعري / تحقيق د. محمد السيد الجليند / ط. دار اللواء للنشر والتوزيع بالرياض سنة ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م / ص ١٣٤.

من خلقه ، لا تقتضى من الحدث والحاجة إلى محدث له ما اقتضاه ذلك الذي أشبهه ، أو اقتضى ذلك قدم ما أشبهه من خلقه ، وقد قامت الأدلة على حدوث جميع الخلق " [١] .

ثالثاً : مسألة معالجته لمشكلة الصفات الخبرية .

يعتبر موقف المعتزلة موقفًا مغايرًا لجمهور السلف تمامًا ، وحجتهم في ذلك تنزيه الله تعالى ، فاستخدموا منهجهم العقلي نحو آيات الصفات الخبرية ، فأوجبوا تأويلها لموافقة الأدلة القاطعة وهي أدلة العقول ، وما وقع التشبيه في الأمة إلا بسبب التعلق بالآيات المتشابهة ، وترك تأويلها على ما يوافق دليل العقل والآيات المحكمة .

يقول القاضي عبد الجبار [٢] : " إذا ورد في القرآن آيات تقتضي

---

(١) اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع / الأشعري / نشرة الدكتور غرابة – يسوعي / ط. بيروت سنة ١٣٧٣هـ / ص ٨٣.

(٢) هو : قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد بن خليل بن عبد الله الهمزاني ، فقيه وأصولي متكلم ومفسر ، كان مقلدًا للشافعي في الفروع ، وعلى رأس المعتزلة في الأصول ، ورد بغداد وحدث بها ، وتولى القضاء بالري ، وتوفي بها في ذي القعدة سنة ٤١٥هـ ، ومؤلفاته كثيرة منها : تفسير القرآن ، دلائل النبوة ، المغني ، شرح الأصول الخمسة : يراجع : فهرس أسماء الرجال من كتاب : المحيط بالتكليف / القاضي عبد الجبار /جمع الحسن بن أحمد بن متويه – تحقيق . عمر السيد عزمي – مراجعة د. أحمد فؤاد الأهواني / ط. الدار المصرية للتأليف والترجمة / ص٤٤٠.

بظاهرها التشبيه ، وجب تأويلها ، لأن الألفاظ معرضة للاحتمال ، ودليل العقل بعيد عن الاحتمال "[١].

ومن أجل ذلك : فقد تأول المعتزلة اليد ، وقالوا معناها القدرة والنعمة ، والوجه معناه الوجود ، في حين أثبتت الحشوية هذه الصفات على نحو مادي بحت ، فقالوا : يده يد جارحة ، ووجهه وجه صورة .

يقول الشهرستاني[٢] : " وأما مشبهة الحشوية فقد أجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة ، وأن المسلمين المخلصين يعانقونه في الدنيا والآخرة ، ... وما ورد في التنزيل من الاستواء والوجه واليدين والجنب والمجيء والإتيان والفوقية وغير ذلك، فأجروها على ظاهرها... وزادوا في الأخبار أكاذيب نسبوها إلى النبي ﷺ وأكثرها مقتبسة من اليهود، فإن

---

(١) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة / القاضي عبد الجبار – أبى القاسم البلخي – الحاكم الجشمي / تحقيق. فؤاد سيد / ط. الدار التونسية سنة ١٩٧٤م/ ص ٥٢٤.

(٢) هو : محمد بن عبد الكريم بن أحمد ، وكنيته أبو الفتح ، وشهرته الشهرستاني ، نسبة إلى بلدته (شهرستان) وهي خراسان بين نيسابور وخوارزم في آخر حدود خراسان ، ولد سنة ٤٧٩هـ ، شافعي المذهب ، أشعري ، إمامًا مبرزًا ، فقيهًا متكلمًا ، من أهم مؤلفاته : الإرشاد إلى عقائد العباد ، الملل والنحل ، دقائق الأوهام ، وتوفي رحمه الله سنة ٥٤٨هـ . مقدمة كتاب الملل والنحل / ص١١، ١٢.

التشبيه فيهم طباع "[١].

ومن أجل ذلك : فقد سلك الشيخ الأشعري طريقًا وسطًا بينهما ، وذكر أن يده يد صفة ، ووجهه وجه صفة كالسمع والبصر ، وكذلك الشأن بالنسبة لصفتي النزول والاستواء .

يقول الأشعري : " وقال أهل السنة وأصحاب الحديث : ليس بجسم ولا يشبه الأشياء ، وأنه على العرش كما قال ، ونقول استوى بلا كيف ، وأنه نور ، وأن له وجهًا ، وأن له يدين وعينين ، وأنه يجيء يوم القيامة هو وملائكته ، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا كما جاء في الحديث ، ولم يقولوا شيئًا إلا ما وجدوه في الكتاب أو جاءت به الرواية " [٢].

ويقول الإمام الذهبي : " رأيت لأبي الحسن أربعة تواليف في الأصول ، يذكر فيها قواعد مذهب السلف في الصفات ، وقال فيها : تمر كما جاءت ، ثم قال : وبذلك أقول ، وبه أدين ، ولا تؤول " [٣].

وعلى ذلك : فالأشعري يجري هذه الصفات على الله سبحانه وتعالى بالمعنى المتبادر منها في العرف ، لكن مع التنزيه عن التشبيه ، والتجنب عن التكيف ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنه ليس في خلقه ،

---

(١) الملل والنحل / الشهرستاني / تحقيق. عبد العزيز محمد الوكيل / ط. مؤسسة الحلبي / ج١/ص١٠٥ ، ١٠٦.
(٢) مقالات الإسلاميين / ج١/ ص٢٨٤، والإبانة/ ص١٨.
(٣) سير أعلام النبلاء / الذهبي/ ص ٦١٢.

ولا خلقه فيه ، وأنه مستو على عرشه بلا كيف ولا استواء [١].

وبمثل هذا ،اتفق المتقدمون من أهل السنة والجماعة ، والمتأخرون منهم على الإمرار وعدم التعرض للفظ بالنفي ، وكذلك عدم التصريح بإثباته على الحقيقة اللغوية التي من شأنها تشبيه الرب بخلقه ، ولكن مع هذا فقد زاد المتأخرون بأن هذه الألفاظ لا يجوز أن يفهم منها إلا ما يليق بالله ؛ فكأنهم يقولون للخصم ، إذا أردت أن تتكلم عن معنى هذه الصفات فقل أي معنى مقبول لغة إلا المعنى الذي يشبهه تعالى بخلقه ، ولذا يصلح أن نقول: إن مذهب السلف مذهب اعتقاد، ومذهب الخلف مذهب تنظير، أو كما اشتهر في بطون علم الكلام بأن منهج السلف أسلم ومنهج الخلف أحكم.

فمن المسلم به أن الجميع يضطر إلى التأويل وإن كان من المفوضة إذا تصادم ظاهر النص مع التوحيد وتنزيه الباري سبحانه وتعالى ، ولذلك يقول الإمام الرازي : " جميع فرق الإسلام مقرون بأنه لا بد من التأويل في بعض ظواهر القرآن والأخبار "[٢].

رابعاً: مسألة الرؤية.

تعتبر مسألة الرؤية من المسائل التي دار حولها جدل كبير بين

---

(١) الإبانة / ص٩٢.

(٢) أساس التقديس / الرازي/ ط. مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة سنة ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م/ ص٧٩.

الأشاعرة والمعتزلة من جهة ، وبين الأشاعرة والحشوية من جهة أخرى .

وذلك لأن القائل بخلق القرآن يلزمه نفي الرؤية ، والقائل بالكلام القديم يلزمه ثبوتها ، وأما بالنسبة للتيار الحشوي فقد ذهب إلى القول بأن الله يرى مكيفًا محدودًا شأنه شأن سائر المرئيات .

ومن أجل ذلك : فقد اختار الشيخ الأشعري التوسط في هذه المسألة، وقرر أنه سبحانه يرى من غير حلول ولا حدود ولا تكييف ، تمامًا مثل ما يرانا هو سبحانه وتعالى غير محدود ولا مكيف.

هذه الرؤية التي تكون يوم القيامة للمؤمنين، جائزة على الله تعالى عقلاً واجبة سمعًا، والمصحح لها كما يرى الشيخ هو الوجود، والباري تعالى موجود فيصح أن يرى، والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ [(١)] .

وليس في إثبات الرؤية لله تعالى كما يذكر الأشعري : " قلبًا للباري عن حقيقته ، أو اتصافًا له بالكذب والجور والظلم ..... وليس في إثباتها تشبيهًا لله بخلقه، لأننا نرى السواد والبياض لا يتجانسان ولا يتشابهان بوقوع الرؤية عليهما، ولا يتحول واحد منهما عن حقيقته إلى حقيقة الآخر"[(٢)].

---

(١) سورة القيامة / الآية ٢٢، ٢٣.
(٢) اللمع / الأشعري / ص ٦٢، ٦٣.

هذا ، ويستدل الأشعري على أن النظر إذا اقترن بالوجه كان هو الرؤية بالبصر ، أو كما يذكر الآمدي [١] عن شيخه قوله : " وليس المقصود بالنظر هنا الاعتبار ، كما في قوله تعالى :﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [٢] ، لأن الآخرة ليست بدار اعتبار ، وليس المقصود به التوقع والانتظار ، كما في قوله تعالى : ﴿ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ [٣] ، وليست الآخرة بدار انتظار ، لأن الانتظار فيه تنغيص ، ولا يراد به النظر إلى ثوابه ، لأن ثوابه غيره ، فإذا بطلت هذه الأقسام ، تعين أن النظر المراد هو نظر العينين اللتين بالوجه ، وهو المراد بالرؤية البصرية "[٤].

---

(١) هو : سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم بن محمد الآمدي التغلبي الحنبلي ثم الشافعي ، ولد سنة ٥٥١هـ بديار بكر ، وتوفي سنة ٦٣١هـ بدمشق ، وهو صاحب التصانيف العقلية ، وأتقن علم النظر والكلام ، ومن تصانيفه المشهورة : الإحكام ،أبكار الأفكار ، المبين في شرح معاني الحكماء والمتكلمين ؛ وقيل عنه : تصانيفه كلها حسنة منقحة . يراجع في ذلك: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام / شمس الدين الذهبي / ط. دار الغرب الإسلامي / ج١٤ / ص ٥١ ، وأيضًا : الوافي بالوفيات / الصفدي / ط. دار إحياء التراث / ج٢١ / ص ٢٢٥ ، وأيضًا : هدية العارفين / البغدادي / ط. دار إحياء التراث العربي / ج١ / ص ٧٠٧ .

(٢) سورة الغاشية / الآية ١٧.

(٣) سورة يس / من الآية ٤٩.

(٤) أبكار الأفكار في أصول الدين / الآمدي / تحقيق د. أحمد محمد المهدي / ط. دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة سنة ١٤٢٣هـ / ج٥ / ص ٢٦٠، وأيضًا:

وهنا ينبغي أن ننبه إلى أمر هام ؛ ألا وهو أن الذين تعرضوا لفحص الأقوال التي قيلت في مسألة الرؤية عند الأشاعرة ، مثل الدكتور محمود قاسم في مقدمته لمناهج الأدلة [١] ، والدكتور / عبد الكريم عثمان في تعليقه على شرح الأصول الخمسة [٢] ، لم يفهموا المسألة على حقيقتها، فالرؤية تتعلق بالتجسيم إذا كان المراد رؤيته جسمًا ، أما الباري سبحانه فلا تنطبق عليه أحكام الأجسام ؛ وعليه فالرؤية جائزة عقلاً ونقلاً ، فلا تناقض بين القول بالرؤية والتنزيه ، مع إثبات الصفات الخبرية التي ورد الشرع بثبوتها ولكن بلا كيف .

ومن هنا نرى أنه : قد انعقد الإجماع [٣] من أهل السنة على مسألة

الشامل في أصول الدين / الجويني /تحقيق د. النشار / ط. دار المعارف الإسلامية سنة ١٩٦٩م/ ص ٥٣٧.

(١) مقدمة مناهج الأدلة لابن رشد / تحقيق د. محمود قاسم / ط. مكتبة الأنجلو المصرية / ط. الثانية سنة ١٩٦٤م/ ص ٩، ١٠.

(٢) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار / تحقيق د. عبد الكريم عثمان / ط. مطبعة الاستقلال الكبرى – نشر مكتبة وهبة / ط. الأولى سنة ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٥م/ هامش ص ٢٣٢.

(٣) يراجع في ذلك: (أ) الرد على الجهمية والزنادقة / أحمد بن حنبل / ص ١٣٢، ١٣٣.

(ب) شرح العقيدة الطحاوية / ابن أبي العز / ط. المكتب الإسلامي ببيروت / ط. التاسعة سنة ١٤٠٨هـ / ج١/ ص ١٣١ ، ١٦٤ .

(ج) الرد على المنطقيين / ابن تيمية / ط. دار المعرفة ببيروت / ص ٢٣٨ . =

الرؤية ، وهو أن الله يرى في الآخرة بالأبصار ، ويراه المؤمنون في الجنة بأعينهم حقيقة ، بلا تشبيه ولا كيفية ؛ وهذا ما قرره الأشعري .

خامساً : مسألة كلامه تعالى .

وبمثل هذا المنهج السابق يعالج الإمام الأشعري مشكلة كلامه تعالى، ويحاول وضعها في صورة سنية برهانية .

لقد اختلف المعتزلة في الكلام، هل هو جسم أم عرض، وهل هو مخلوق؟ على أقوال، أهمها:

" الأول – قول بعضهم؛ إن كلام الله جسم وإنه مخلوق، وإنه لا شيء إلا جسم.

الثاني: رأي النظام وأصحابه: وهو أن كلام الخلق عرض؛ وهو حركة، لأنه لا عرض عندهم إلا الحركة، وأن كلام الخالق جسم، وأن ذلك الجسم صوت مقطع مؤلف مسموع، وهو فعل الله وخلقه.

الثالث : رأي أبي الهذيل ، وجعفر بن حرب ومعمر ، والأسكافي ومن

=(د) شرح السنة / المزني / تحقيق. جمال عزون / ط. مكتبة الغرباء الأثرية بالسعودية / ط. الأولى سنة ١٤١٥هـ / ص٨٢ .

(هـ) عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي / المقدسي / تحقيق. عبد الله محمد البصيري / ط. مطابع الفردوس بالرياض / ط. الأولى سنة ١٤١١هـ / ص ٥٧ ، ٥٩ .

(و) الاعتصام / الشاطبي / تحقيق د. محمد عبد الرحمن وآخرين / ط. دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع بالسعودية / ط. الأولى سنة ١٤٢٩هـ/ ج٣ / ص ٢٦٩ .

تبعهم ، وهو أن الكلام عرض مخلوق "[١].

ومن هذا العرض لخلافهم؛ يتضح أن المعتزلة قد اختلفوا في الكلام هل هو جسم أم لا ؟ إلا أنهم اتفقوا على أنه مخلوق.

يقول القاضي عبد الجبار : " والذي يدل على حدوث كلامه الذي ثبت أنه كلام له ؛ أن الكلام على ما قدمناه لا يكون إلا حروف منظومة ، وأصواتًا مقطعة ، وقد ثبت – فيما هذه حاله – أنه محدث ؛ لجواز العدم عليه على ما بيناه في حدوث الأعراض "[٢].

وإذا كان كلام الله مخلوقًا؛ فالقرآن أيضًا مخلوق، لأنه كلامه، وفي هذا يقول القاضي عبد الجبار وهو يتكلم عن مذاهب الناس في القرآن: " وأما مذهبنا فهو أن القرآن كلام الله تعالى ووحيه، وهو مخلوق محدث "[٣].

ويقول ابن منتويه [٤] : " وقد أطلق مشايخنا كلهم في القرآن أنه

---

(١) مقالات الإسلاميين / الأشعري / ج١/ ص٢٦٧: ٢٦٩، وأيضًا: المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها / د. عواد بن عبد الله المعتق / ط. مكتبة الرشد / ط. الثانية سنة ١٩٩٥م/ ص٧٧.

(٢) المغني في أبواب التوحيد والعدل / القاضي عبد الجبار / ط. المؤسسة المصرية للتأليف والنشر / ج٧/ ص٨٤.

(٣) شرح الأصول الخمسة / القاضي عبد الجبار/ ص٥٢٨.

(٤) هو: أبو محمد الحسن بن أحمد بن منتويه، أخذ عن القاضي عبد الجبار، وله كتب مشهورة منها: المحيط في أصول الدين، والتذكرة في لطيف الكلام، ذكره ابن=

مخلوق"[١] .

ويقول المقبلي [٢] ، وهو يعرض اختلاف الناس في الكلام : " والمتكلمون نظروا في كيفيته فاختلفوا ، ... ورتبت المعتزلة على ذلك إطلاق المخلوق على القرآن "[٣] .

ومن هنا يتضح لنا: عقيدة المعتزلة في القرآن، وهو أنه مخلوق.

أما الحشوية فقد ذهبوا إلى أن الحروف المقطعة والأجسام التي يكتب

=المرتضى في الطبقة الثانية عشر من طبقات المعتزلة، وهم أصحاب القاضي عبد الجبار. يراجع في ذلك : المحيط في أصول الدين / ابن منتويه/ ط. مؤسسة الإمام زيد بن على / المقدمة ، وأيضًا :فرق وطبقات المعتزلة / د. علي سامي النشار / ط. دار المطبوعات الجامعية سنة ١٩٧٢ م/ ص١٢٦.

(١) المحيط بالتكليف / القاضي عبد الجبار / ص٣٣١.

(٢) هو : صالح بن المهدي بن على بن عبد الله بن سليمان المقبلي ، من أعيان الفقهاء ، وعالم مشارك في التفسير والحديث واللغة والتصوف والفقه ، ولد في قرية مقبل باليمن سنة ١٠٤٧ هـ ، وتوفي سنة ١١٠٨هـ ، وكان كثير النقد للمعتزلة في بعض المسائل الكلامية ، وعلى الصوفية في أغلب مسائلهم ، وعلى المحدثين في نواحي غلوهم . يراجع في ذلك : البدر الطالع / الشوكاني / ج١ / ص٢٨٨ ، وهدية العارفين / البغدادي / ج١ / ص٤٢٤ ، والمجددون في الإسلام / عبد المتعال الصعيدي / نشر مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع / ط. الأولى سنة ٢٠٠٦ م/ ص ٤١٢ : ٤١٤ .

(٣) العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ / المقبلي/ تحقيق .محمد السيد عثمان / ط. دار الكتب العلمية ببيروت سنة ٢٠١٢م / ص١٢٨.

عليها ، والألوان التي يكتب بها ، وما بين الدفتين كلها قديمة أزلية .

يقول ابن تيمية : " قال المجسمة المشبهة ، الله متكلم بكلام هو حروف وأصوات متعددة ، يحدث في ذاته ثم ينقطع ، ثم يحدث ثم ينقطع ، ووصل الغلو ببعضهم إلى اعتبار حروف اللفظ المنزل بين دفتي المصحف قديمة غير مخلوقة "(١) .

وأما إمام أهل السنة والجماعة أبو الحسن الأشعري ، فقال قولاً ثالثًا وسطًا بين القولين الأولين ، وحكم بأن : "ما نقرأه من القرآن كلام الله ، بمعنى أنه ليس من تصنيف بشر ولا ملك ، وبمعنى أنه دال على الكلام الأزلي ، وإطلاق كلام الله على اللفظ المنزل حقيقة شرعية "(٢).

وقال الشهرستاني متحدثًا عن عقيدة الإمام الأشعري : " وكذلك قال المعتزلة : كلام الله مخلوق مخترع مبتدع ، وقالت الحشوية المجسمة : الحروف المقطعة والأجسام التي يكتب عليها ، والألوان التي يكتب بها ،

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل / ابن تيمية / ط. دار الكتب العلمية ببيروت / ط. الأولى سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م/ ج٣ /ص ٣٦٢، وأيضًا: الكواشف الجلية عن معاني الواسطية / عبد العزيز المحمد السلمان/ نشر إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد / ط. ١١سنة ١٤٠٢هـ -١٩٨٢م/ص ٣٦٣، ٣٩٧.

(٢) تشنيف المسامع بجمع الجوامع / بدر الدين الزركشي / تحقيق د. سيد عبد العزيز، ود. عبد الله ربيع / ط. مؤسسة قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي / ط. الأولى سنة١٤١٨هـ - ١٩٩٨م / ص٤١٢.

وما بين الدفتين كلها قديمة أزلية ، فسلك رضي الله عنه طريقة بينهما فقال: القرآن كلام الله قديم غير مغير ، ولا مخلوق ولا حادث ولا مبتدع ، فأما الحروف المقطعة والأجسام والألوان والأصوات والمحدودات ، وكل ما في العالم من الممكنات مخلوق مبتدع مخترع " [١].

وهذا ما كان عليه السلف الصالح، فقد صرح الإمام أبو حنيفة، وهو من أساطين علماء السلف، في كتابه (الفقه الأكبر): " ويتكلم لا ككلامنا، نحن نتكلم بالآلات من المخارج والحروف، والله متكلم بلا آلة ولا حرف... والقرآن كلام الله غير مخلوق، ووحيه وتنزيله على رسوله، مكتوب في المصاحف، مقروء بالألسنة، محفوظ في الصدور، غير حال فيها، والحبر والكتابة والقراءة مخلوقة لأنها أفعال العباد "[٢].

وأنكر الإمام أحمد بن حنبل على من يقول : " لفظي بالقرآن مخلوق ، يريد به أن القرآن مخلوق "[٣].

---

(١) نهاية الإقدام في علم الكلام / الشهرستاني / ط. القاهرة – نشرة جيوم / ص ٣١٣.
(٢) إشارات المرام من عبارات الإمام أبي حنيفة النعمان في أصول الدين / كمال الدين البياضي / ط. دار الكتب العلمية ببيروت سنة ٢٠٠٧م / ص ١٤٧.
(٣) شرح الإرشاد في علم الكلام / أبو القاسم الأنصاري المتوفي سنة ٥١٢ هـ / ص٣٨/ WWW.Keta blink .com ، وأصل هذا الكتاب مفقود ، وذكرت الدكتورة/ فوقية حسين أن له نسخة بخزانة القرويين بفاس ، بعنوان : شرح الإرشاد للأنصاري المتوفي سنة ٥١٢هـ ، وذكره الشهرستاني في نهاية الإقدام / ص٣٨ ، وهذا الكتاب نسبة إلى الأنصاري عامة من ترجم له ، وعلى سبيل=

وقال الإمام البخاري في كتابه: (خلق أفعال العباد) : " القرآن كلام الله ، وليس بمخلوق ، وأفعال العباد مخلوقة " [١].

وقال العز بن عبد السلام [٢] ، وهو أحد أساطين الأشاعرة في رسائله في التوحيد ، ما نصه : " فالله متكلم بكلام قديم أزلي ، ليس بحرف ولا صوت ، ولا يتصور في كلامه أن ينقلب مدادًا في اللوح والأوراق ، شكلاً ترمقه العيون والأحداق ، كما زعم أهل الحشو والنفاق ، بل الكتابة من أفعال العباد ، ولا يتصور من أفعالهم أن تكون قديمة ... فويل لمن زعم أن

=المثال : العيني في عمدة القاري/ ج٦/ ص ٣٨ ، والسيوطي في طبقات المفسرين / ص٤١ ، والبغدادي في هدية العارفين / ج١ /ص ٢٠٨ ، والزركلي في الأعلام / ج ٣/ ص ١١٢.

(١) خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل / محمد بن إسماعيل البخاري / تحقيق . فهد بن سليمان الفهيد / نشر دار أطلس الخضراء بدمشق / ط. الأولى سنة ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م / ج١ /ص ٥٠ .

(٢) هو: الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن حسن بن محمد، المشهور بالعز بن عبد السلام ، ولد سنة ٥٧٧هـ بمدينة دمشق ، وتوفي سنة ٦٦٠هـ ، وهو شيخ الإسلام ، وأحد الأئمة الأعلام ، كبير الشافعية ، المفتي الكبير ، جمع بين العلم والعمل ، فكان مشهورًا بالزهد والورع وشدة التحري ، ومحاربة البدع والمخالفات الشرعية ، محترزًا عن مواطن الشبهات ، ومن اهم مؤلفاته : شجرة المعارف ، الدلائل المتعلقة ، تفسير مختصر للقرآن ، مختصر صحيح مسلم ، الفتاوى ، بيان أحوال الناس يوم القيامة . يراجع في ذلك : طبقات الشافعية / ج٨ /ص ٢١٤ ، والبداية والنهاية / ج١٣ / ص ٢٦٤، وشذرات الذهب /ج٥/ ص ٣٠٢ ، وحسن المحاضرة /ج١ / ص ٣٤٣ .

كلام الله القديم شيء من ألفاظ العباد، أو رسم من أشكال المداد "[١].

سادساً: مسألة أفعال العباد.

لا شك أن مشكلة أفعال العباد من المشاكل التي شغلت علماء الفكر الإسلامي منذ زمن طويل، واستحكم على العقل حلها منذ أن بدأ البحث فيها؛ لأنها مشكلة التكليف والجزاء.

هذا، وقد اختلف علماء الكلام في أفعال العباد، من حيث كونها مخلوقة بقدرة الله تعالى (اضطرارية)، أو بقدرتهم (اختيارية) إلى مذاهب عدة:

(أ) مذهب الجبرية: وهو أن العبد وفعله مخلوقان بقدرة الله، وأن أفعال العباد كلها اضطرارية، فالعبد مجبور مثله في ذلك كالريشة المعلقة في الهواء [٢].

(ب) مذهب المعتزلة: وهو أن العبد خالق لأفعاله الاختيارية بقدرة

---

(١) رسائل في التوحيد / العز بن عبد السلام / تحقيق. إياد خالد الطباع / ط. دار الفكر المعاصر ببيروت (الرسالة الأولى – الملحة في اعتقاد أهل الحق) / ط. الأولى سنة ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م / ص ٢٠ ، ٢١ .

(٢) مسائل الاعتقاد عند القرطبي /د. كمال الدين نور الدين مرجوني / ط. مؤسسة العلياء للنشر والتوزيع بالقاهرة / ط. الأولى سنة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م/ ص ٢٥٨.

خلقها الله فيه، ولقولهم: بقدرة خلقها الله فيه لم يكفروا على الأصح[١].

(جـ) مذهب أهل السنة: وهو أنه ليس للعبد في أفعاله الاختيارية إلا الكسب، فليس مجبورًا كما تقول الجبرية، وليس خالقًا لها كما تقول المعتزلة [٢].

" فالجبرية أفرطوا، والمعتزلة فرطوا، وتوسط أهل السنة، وخير الأمور أوساطها، فخرج مذهبهم من بين فرث ودم لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين " [٣].

يقول الحافظ بن عساكر : " وتوسط الأشعري في أفعال العباد ، وسلك ﷺ طريقه بينهما (الجبرية والمعتزلة) فقال : العبد لا يقدر على الإحداث ، ويقدر على الكسب ، ونفي قدرة الإحداث وأثبت قدرة الكسب "[٤].

ويؤكد ابن الوزير على ما ذهب إليه الحافظ بن عساكر فيقول : "واعلم أن أصحابنا – الأشاعرة – لما وجدوا تفرقة بدهية بين ما نزاوله، وبين ما نحسه من الجمادات ، وزادهم قائم البرهان عن إضافة الفعل إلى العبد مطلقًا ، جمعوا بينهما وقالوا : الأفعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب

---

(١) مختصر شرح العقيدة الطحاوية / على بن محمد أبي العز الخفي / تحقيق. محمد ناصر الدين الألباني / ط. دار عمر بن الخطاب بالإسكندرية / ص ٢٦٩.

(٢) لوامع الأنوار البهية / السفاريني/ ط. المكتب الإسلامي ببيروت – دار الخاني بالرياض / ط. الثالثة سنة ١٤١١هـ – ١٩٩١م/ ج١/ ص٣٠٦.

(٣) تحفة المريد على جوهرة التوحيد / إبراهيم الباجوري / ط. دار الكتب العلمية ببيروت / ص١٦.

(٤) تبيين كذب المفتري / ابن عساكر / ص ١٤٩.

العبد ، على معنى أن العبد إذا صمم العزم ، فالله يخلق الفعل فيه " [1].

هذا ، وقد لاقت فكرة الكسب عند الأشعري هجومًا شديدًا عند كل من ابن حزم وابن تيمية وابن القيم وابن رشد ،ومن بعدهما الدكتور/ محمود قاسم [2] ، وانتقدوا الفكرة انتقادًا لاذعًا عند قائليها ، ولكن مع كل هذا وذاك ؛ إلا أنه يبدو لي أن هذه الفكرة عند الأشعري ، قد كانت في حاجة إلى أدلة أخرى لتقوى أمام التيارات المختلفة ، والاعتراضات التي يمكن أن توجه إليها ؛ ويبدو لي (أيضًا) أن هذا التصحيح كان من نصيب تلامذته، الذين قاموا بصوغ هذه الفكرة صوغًا آخر يتفق ومقتضيات المذهب.

ومن هنا فإن الباقلاني قد تنبه منذ وقت مبكر لهذه الفكرة وحاول تنقيحها وتهذيبها ، وفسر الكسب بأنه : "الاقتران الضروري الحادث بين قدرة العبد والفعل الاختياري ... ولا يعني وجود الفعل خلقًا من الله وكسبًا من العبد أن هناك تناقضًا، لأن جهة التعلق تختلف، ولذا جاز وجود مقدور

---

(١) إيثار الحق على الخلق /ابن الوزير اليماني / ط. دار الكتب العلمية ببيروت / ط. الأولى سنة ١٤٠٣ه – ١٩٨٣م/ ص ٢٩٠.

(٢) يراجع في ذلك : مجموعة الرسائل والمسائل /ابن تيمية /ج٥/ ص٣١٥ ، ومنهاج السنة النبوية / ابن تيمية/ج٢/ص٢٢٦ ، والصفدية/ابن تيمية /ج١/ ص١٥١ : ١٥٣ ، وشفاء العليل /ابن القيم/ ص١٢٢، وشرح الأصول الخمسة / القاضي عبد الجبار / تعليق د. عبد الكريم عثمان / ص٣٦٤ ، والكشف عن مناهج الأدلة / ابن رشد/ ص ١٤٣ ، ومقدمه مناهج الأدلة / د. محمود قاسم / ص ١١٢ : ١١٥ .

بين قادرين " [١].

وبهذا فإن الباقلاني هنا : يناقش قضية يبدو أنها كانت تشغل بال المتكلمين آنذاك وهي : الاستطاعة ، وهل توجد في الإنسان قبل الفعل أو معه [٢] .

ويرى الباقلاني في هذه القضية أن الاستطاعة توجد مع الفعل ، لأن الاستطاعة عرض ، والعرض لا يبقى زمانين ، فلو أن الاستطاعة وجدت قبل الفعل ، لكان معنى هذا أن تزول قبل إتمام الفعل ، وهذا باطل [٣].

والحق أن : الباقلاني قد تابع شيخه في كثير من القضايا ؛ إلا أنه في هذه المسألة قد خالف شيخه ، ويمكننا أن نعتبره الخلاف الوحيد بينهما ؛ إذ قرر الباقلاني أثرًا لقدرة العبد في الفعل ، مع تأكيده أن القدرة الحادثة لا تخلق ولا تبدع ، لأن الخلق والإبداع من فعل الخالق .

وإذا انتقلنا إلى رائد آخر من رواد المدرسة الأشعرية ، ألا وهو إمام الحرمين (الجويني) لوجدنا أنه قد تخطى قليلاً عما قاله الباقلاني ، فذكر أن العبد قادر على كسبه ، وقدرته ثابتة عليه .

---

(١) ينظر في ذلك: التمهيد / الباقلاني/ نشرة الأب مكارثي/ ط. المكتبة الشرقية ببيروت سنة ١٩٥٧م/ ص٣٠٧، ٣٠٨، ورسالة الحرة / الباقلاني / تعليق الشيخ. زاهد الكوثري / ط. مكتبة الثقافة الإسلامية بالقاهرة سنة ١٩٥٠م/ ص٤١.

(٢) علم الكلام ومدارسه / د. فيصل بدير عون/ ص٢٨٤.

(٣) التمهيد /الباقلاني / ص٢٨٧، ٢٨٨.

يقول الجويني : " والدليل على إثبات القدرة ، أن العبد إذا ارتعدت يده ثم إنه حركها قصدًا ، فإنه يفرق بين حالته في الحركة الضرورية ، وبين الحالة التي اختارها واكتسبها ، والتفرقة بين حالتي الاضطرار والاختيار معلومة على الضرورة ، ويستحيل رجوعها إلى اختلاف الحركتين ... فإذا لم ترجع التفرقة إلى الحركتين، تعين صرفها إلى صفة المتحرك "(١).

يقول الدكتور / إبراهيم مدكور : " ويعد هذا الموقف للجويني الذي يجعل فعل العبد فيه نتيجة لقدرته ، واستناد هذه القدرة لسبب آخر يتصل بسلسلة الأسباب العامة ، يعد اقترابًا من المعتزلة والفلاسفة على السواء"(٢).

ومن ذلك نجد أن أبا المعالي قال بأن للإنسان اكتسابًا لأفعاله واستطاعة على الفعل ، ولكن ينبغي أن يلاحظ أن الجويني هنا بناه على امتناع تكليف ما لا يطاق ، لكن من غير الجهة التي منعته المعتزلة (٣) .

ويرى الجويني أن هذه القدرة الحادثة نظرًا لكونها عرضًا من الأعراض فهي غير باقية ، لأن هذا حكم جميع الأعراض (٤).

---

(١) لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة / الجويني/ تحقيق د. فوقية حسين حسين محمود/ ط. الهيئة المصرية للتأليف والأنباء والنشر سنة ١٩٦٥م/ ص١٠٧، وأيضًا: الإرشاد/الجويني/ ص٢١٥، ٢١٦.

(٢) في الفلسفة الإسلامية (منهج وتطبيقه) / د. إبراهيم مدكور/ ج٢/ ص١٢١.

(٣) مناهج الأدلة/ ابن رشد/ تحقيق د. مصطفى عبد الجواد عمران/ ص١٣٦، ١٣٧.

(٤) الإرشاد/ الجويني/ ص٢١٧، ٢١٨.

وإن كان الدكتور/ مدكور (ومن قبله الشهرستاني) قد أراد بذلك أن يصل الجويني بالفلاسفة الذين سلكوا مسلك الوسائط ، وهو ما نجده عند الأفلاطونية المحدثة (١) ؛ إلا أن الجويني على أية حال لم يخرج في الحقيقة عن عقيدة أهل السنة والجماعة .

ومن أجل ذلك قال : " والذي نرتضيه رأيًا ، وندين الله به عقلاً ، اتباع سلف الأمة ، فالأولى الاتباع وترك الابتداع ، والدليل السمعي القاطع في ذلك ، أن إجماع الأمة حجة متبعة " (٢) .

وفي هذه المسألة يرى حجة الإسلام الإمام (أبو حامد الغزالي) أن أحق المذاهب في ذلك هو مذهب أهل السنة الذي هو : " إثبات القدرتين على فعل واحد مع اختلاف وجه تعلقهما ... فقدرة العبد تتعلق به كسبًا، وقدرة الله تتعلق به خلقًا " (٣).

ويقول في موضع آخر معبرًا عن رأى أهل السنة في ذلك : " إنهم لم ينفوا الاختيار عن أنفسهم بالكلية ، ولم ينفوا القضاء والقدر عن الله تعالى بالكلية ، بل قالوا : أفعال العباد من الله من وجه ، ومن العبد من

---

(١) الأفلاطونية المحدثة : هي فلسفة أفلاطون ومن شايعه من الأفلوطنيين الذين تأثروا به ، وكانوا يقولون عن أنفسهم أنهم أفلاطونيين وكفى ؛ إلا أن الأفلاطونية المحدثة لم تكن في الواقع إحياء للفكر الأفلاطوني ، بقدر ما كانت محاولة لدمج الفكر القديم كله ، ووصفت بأنها محاولة إسكندرانية آثينية .الموسوعة الفلسفية /د. الحفني / ص ٥٦ .

(٢) العقيدة النظامية / الشيخ الكوثري/ ط. القاهرة سنة ١٩٨٤م/ ص ٢٣.

(٣) الاقتصاد في الاعتقاد/ الغزالي/ ص٣٩، ٤٣.

وجه ، وللعبد اختيار في إيجاد أفعاله " [١]

وبذلك يمكننا أن نقول : إن نسبة الغزالي وغيره من أهل السنة إلى مذهب الجبرية ليست نسبة صحيحة ، إذ إنه جعل لقدرة العبد تأثيرًا ما في الفعل ، كما أنه لم ينكر اختيار العبد ، طالما أنه يفرق باختياره بين الحركة الاضطرارية والاختيارية .

أما (الفخر الرازي) فهو مع تمسكه بمعالم المذهب الأشعري ، وتوليه مناقشة خصومه ، لا يستنكف من أن يشق عصا الطاعة أحيانًا في وجه الشيخ ، وخاصة في هذه القضية ، ولذلك نجده يحاول أن : "يثبت للقدرة الحادثة تأثيرًا في الفعل حتى تتحقق مسئولية الإنسان " [٢]

وفي ذلك يقول الرازي : " إننا وإن نفينا كون العبد موجدًا لأفعال نفسه، لكننا نعترف بكونه فاعلاً لها ومكتسبًا لها ، ففي الكسب قولان : أحدهما – أن الله تعالى أجرى عادته بأن العبد متى ضم عزمه على الطاعة، فإنه تعالى يخلقها ، ومتى ضم عزمه على المعصية فإنه يخلقها ، وعلى هذا التقدير يكون العبد كالموجد ، وإن لم يكن موجدًا ، فلم لا يكفي هذا القدر في الأمر والنهي ، وثانيهما – أن ذات الفعل وإن حصلت بقدرة الله تعالى ، ولكن كونها طاعة ومعصية صفات تحصل لها ، وهي واقعة بقدرة

---

(١) الأربعين في أصول الدين/ الغزالي/ تحقيق الشيخ. مصطفى أبو العلا/ ط. مكتبة الجندي بالقاهرة سنة ١٣٩٠ هـ – ١٩٧٠م/ ص ٣٩ ، وأيضًا : الاقتصاد / ص ٨٤ .

(٢) الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية/ محمد صالح الزركان/ ط. دار الفكر العربي سنة١٩٦٣م /ص٥٢٥.

العبد ، فلم لا يكفي هذا في صحة الأمر والنهي " [١] .

وعلى أية حال : فإن الرازي قد سار على درب شيخه الغزالي في التوفيق بين القول بأن الأفعال واقعة بقدرة الله تعالى ، وبين ما يدركه الإنسان أو يباشره من تفرقة بين الأفعال الاختيارية والأفعال الاضطرارية التي تصدر عنه ، كما هو الطابع العام لمذهب الأشاعرة .

وأما البيضاوي ،فبعد أن ذكر احتجاجات المعتزلة بالآيات الدالات على أن أفعال الله لا توصف بصفات أفعال العباد من الظلم ونحوه ، قال ما لفظه : " وأجيب بأن كونه ظلمًا ،اعتبار يعرض في بعض الاحوال بالنسبة إلينا لقصور ملكنا واستحقاقنا ، وذلك لا يمنع صدور أصل الفعل عن الباري تعالى مجردًا من هذا الاعتبار ... ولما وجد أصحابنا تفرقة بدهية بين ما نزاوله وبين ما نحسه ، وزادهم قائم البرهان عن إضافة الفعل إلى العبد ، على معنى أن العبد إذا صمم العزم فالله يخلق العقل فيه ، وهو أيضًا مشكل، ولصعوبة هذا المقام أنكر السلف على المناظرين فيه "[٢] .

ويقرر البيضاوي هنا : أن الأولى في هذه القضية هو اتباع منهج السلف في تفويض الأمر لله سبحانه وتعالى ، وترك النزاع والمناظرة.

---

(١) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين / الرازي/ ص ١٩٨.

(٢) طوالع الأنوار من مطالع الأنظار/ البيضاوي/ تحقيق. عباس سليمان / ط. المكتبة الأزهرية للتراث بالقاهرة / ط. الأولى سنة ٢٠٠٧م/ ص٢٠٠، ٢٠١، وأيضًا: أنوار التنزيل وأسرار التأويل/ البيضاوي / ط. مصطفى البابي الحلبي بمصر/ ط. الثانية سنة ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م/ ج١/ ص٤٤٩ .

ولم يغفل البيضاوي كغيره من رجال الأشاعرة ، أن يتعرض لبعض الآيات التي وردت في القرآن ، وتأولها المعتزلة ، دون أن يقف منهم موقف الحق فيها ، مواصلاً بذلك رأي مدرسته الكلامية ، التي هي امتداد لعقيدة أهل السنة والجماعة .

والواقع أنه يمكن القول : بأن رجال الأشاعرة أبعد من أن يظن بهم أنهم وافقوا الجبرية في المعاني ، حتى نسبهم خصومهم إلى الجبر المحض، فالمدرسة الأشعرية برغم كثرة رجالها ، فإنها ليست إلا امتدادًا لما عليه أهل السنة ، وجل رجالها اتفقوا على أن أفعالنا لا تسمى مخلوقة من حيث نسبت إلينا ، ولا يسمى العبد خالقًا مع أنهم قالوا : إن قدرته هي التي أثرت في ذات فعله وحدها بتمكين الله تعالى ومشيئته ، من غير زيادة مشاركة بينه وبين قدرة الله تعالى في تلك الذات التي هي فعله وكسبه .

وهكذا طال النقاش والحوار بين علماء الكلام بصدد مسألة الفعل الإنساني ، وقدمت كل جماعة أدلة وحججًا حاولت أن تؤيد به موقفها .

والحق أن : القرآن قد جمع بين مقالتي الجبر والاختيار ، ولم يقطع في أي منهما برأي مطلق حاسم [١] ، ومن هنا يمكن أن أقرر : أن الخطأ ينشأ في فهم هذه الآيات المتشابهة ، والنظر إليها في مستوى واحد ، والخلط بين المستوى الإلهي والمستوى الإنساني[٢] .

---

(١) مدارس علم الكلام في الفكر الإسلامي (المعتزلة – الأشاعرة)/ د. خالد حربي/ ط. المكتب الجامعي الحديث بالإسكندرية سنة ٢٠١٠ م/ ص ١٣٨.

(٢) تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام/ د. محمد علي أبو ريان/ ط. دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية سنة ١٩٨٠م/ ص٢٣١، ٢٣٢.

ولا يمكن بحال أن يكون ثمت تناقض بين النصوص القرآنية ، فآيات الجبر إنما تصف الله بالقدرة المطلقة والإحاطة بكل شيء ، وآيات الاختيار فإنها توجه إلى الإنسان وأفعاله ، فتبرر المسئولية والجزاء ، فلا مناقضة بين النصوص .

سابعاً : مسألة الشفاعة .

ذهبت الرافضة إلى أن للرسول ﷺ ، ولعلي ﷺ ، شفاعة من غير أمر الله تعالى ولا إذنه ، حتى لو شفعا في الكفار قبلت .

يقول المفيد [١] :اتفقت الإمامية [٢] على أن أمير المؤمنين علي يشفع في أصحاب الذنوب من شيعته ، وأن أئمة آل محمد ﷺ يشفعون كذلك ،

---

(١) هو : محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام الحارثي العكبري ، المعروف بابن المعلم ،والمفيد ، كنيته أبو عبد الله (٣٣٦ – ٤١٣هـ) ، ولد في قرية عكبرا على بعد عشرة فراسخ من بغداد ، ويعتبر أحد أبرز علماء الإمامية ، وبالأخص الاثني عشرية ومحدثيها ، صاحب كتاب :الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ، والذي يعتبر أحد الكتب التاريخية لدى الشيعة . يراجع في ذلك : الاحتجاج /الطبرسي/ ج٢/ ص ٣١٨ ، ورجال النجاشي/ ص٣٦٩ ،والعدل والإمامة /جعفر السبحاني /ج١٠/ ص٣٩٧ .

(٢) الإمامية هم: فرقة تمسكت بحق علي في وراثة الخلافة دون الشيخين وعثمان ﷺ أجمعين، وقالوا باثني عشر إمامًا دخل آخرهم السرداب بسامراء على حد زعمهم، ويتطلعون لنشر أفكارهم ومذاهبهم ليعم العالم الإسلامي. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة / ص٢٩٩: ٣٠٤.

وينجي الله بشفاعتهم كثيرًا من الخاطئين "[١] .

وأجمعت المعتزلة على أن شفاعة رسول الله ﷺ للمطيعين دون العاصين ، وأنه لا يشفع في مستحق العقاب من الخلق أجمعين .

ويعتقد المعتزلة بأن: " من أتى كبيرة ولم يتب منها ومات كان خالدًا في النار " [٢].

وفي شرح المقاصد للتفتازاني : " قد اشتهر من مذهب المعتزلة أن صاحب الكبيرة بدون التوبة مخلد في النار ، وإن عاش على الإيمان والطاعة مائة سنة ، ولم يفرقوا بين أن تكون الكبيرة واحدة أو كثيرة ، واقعة قبل الطاعات ، أو بعدها ، أو بينها " [٣] .

ومورد الخلاف مع المعتزلة هو : " أن الله سبحانه وتعالى لا يغفر الذنب الكبير مطلقًا إلا بالتوبة " [٤] .

وفي هذا يقول القاضي عبد الجبار : " لا خلاف بين الأمة في أن

---

(١) أوائل المقالات في المذاهب والمختارات / الشيخ المفيد/ تحقيق د. مهدي محقق/ ط. طهران مؤسسة مطالعات إسلامي دانشكاه سنة ١٤١٣هـ / ص٤٧.

(٢) تفسير السمرقندي (بحر العلوم)/ أبو الليث السمرقندي ت ٣٧٥هـ / تحقيق د. زكريا عبد المجيد النوتي / ط. دار الكتب العلمية ببيروت سنة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م/ ج١/ ص٩٥.

(٣) شرح المقاصد/ التفتازاني/ تحقيق د. عبد الرحمن عميرة / ط. عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع سنة ١٩٩٨م/ج٢/ ص٢٣٨.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل /أبو القاسم الكلبي ت ٧٤١هـ / تحقيق. محمد سالم هاشم / ط. دار الكتب العلمية ببيروت سنة ٢٠٠٧م/ج٤/ ص٢١.

شفاعة النبي ﷺ ثابتة للأمة ، وإنما الخلاف في أنها تثبت لمن ... ثم قال : فعندنا أن الشفاعة للتائبين من المؤمنين " [١] .

وجاء عن أبي الحسين الخياط[٢] أنه : " كان يحتج على القائلين بالشفاعة ،بقوله تعالى : ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ [٣] ، ورد عليه الشيخ المفيد : بأن القائلين بالشفاعة لا يدعون أن الرسول هو الذي ينقذ المستحقين للنار منها ، وإنما يدعون أن الله هو الذي ينقذهم إكرامًا للطاهرين من أهل بيته "[٤] .

ومن هذه الأقوال السابقة نستطيع أن نعرف رأي المعتزلة في الشفاعة، وهو : " أنهم ينكرون الشفاعة لأهل الكبائر ، ويقصرونها على التائبين من المؤمنين دون الفسقة ، لأن إثبات الشفاعة للفساق في رأيهم ينافي مبدأ الوعيد ، وقد حملهم على هذا القول شبهات نقلية وعقلية " [٥] .

---

(١) شرح الأصول الخمسة / القاضي عبد الجبار / ص٦٨٨.

(٢) هو: أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط، شيخ المعتزلة البغداديين، وهو من نظراء الجبائي ، صنف كتاب (الاستدلال) ونقض كتاب ابن الروانديي في فضائح المعتزلة وغيرها ، توفى في القرن الرابع الهجري سنة ٣٢١هـ . يراجع في ذلك: تاريخ بغداد/ الخطيب البغدادي/ج١١/ ص٨٧، وسير أعلام النبلاء/الذهبي/ج١٤/ ص٢٢٠، وطبقات المعتزلة / ابن المرتضي / ص ٨٥.

(٣) سورة الزمر / الآية١٩.

(٤) الفصول المختارة /الشيخ المفيد /تحقيق. السيد علي مير شريفي / ط. دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت / ط. الثانية سنة١٤١٤هـ – ١٩٩٣م/ ص٧٨

(٥) المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها / د. عواد بن عبد الله المعتق/ ص٢٣٥.

ومن هنا نفهم أيضًا معنى الروايات الشيعية التي نصت على أن عليًا هو صاحب الحوض واللواء والصراط والإذن يوم القيامة [١] ، أو كما يدعون بأن الصادق (ع) قال : شفاعتنا لأهل الكبائر من شيعتنا [٢] .

وكذلك أنكر الخوارج [٣] أيضًا شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من أمته ؛ لأنهم يرون أن مرتكب الكبيرة كافر مخلد في النار ، كذلك فهم يجحدون إثبات هذه الشفاعة ، لأنها تخالف معتقدهم الفاسد .

---

(١) الخصال / الشيخ الصدوق ت ٣٨١هـ / تحقيق. على أكبر الغفاري / ط. مؤسسة النشر الإسلامي سنة١٤٠٣هـ – منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية قم المقدسة/ حديث الأربعمائة/ ص٦١٠.

(٢) من لا يحضره الفقيه/ الشيخ. أبو جعفر القمي ت سنة ٣٨١هـ/ تعليق . علي أكبر الغفاري / منشورات جماعة المدرسين/ج٣/ ص٥٧٤ ،وأيضًا : وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة/ الشيخ . محمد بن الحسن حر العاملي ت سنة ١١٠٤هـ/ تحقيق. عبد الرحيم الشيرازي / ط. المكتبة الإسلامية بطهران سنة ١٣٩٧ هـ/ج١١/ ص٢٦٤.

(٣) الخوارج :اسم يقع على تلك الطائفة التي خرجت على رابع الخلفاء الراشدين (علي بن أبي طالب)، وخروجهم عليه هو العلة في تسميتهم بهذا الاسم ، فهم الذين خرجوا على عليٍّ لقبوله التحكيم في موقعة صفين ، ولهم ألقاب أخرى عرفوا بها غير الخوارج ، ويرضون بها إلا بلقب المارقة ، ومن أهل العلم من يرجح بداية نشأتهم إلى زمن النبي ﷺ . يراجع في ذلك : هدي الساري مقدمة فتح الباري /الحافظ بن حجر العسقلاني/ ط. دار الطباعة المنيرية بالقاهرة سنة ١٣٤٧هـ / ص٤٥٩ ،والملل والنحل/ج١/ ص١٣٢ ،والفصل /ج٢/ص١١٣ ، ومقالات الإسلاميين/ ج١/ ص٢٠٧ .

وقد استند الخوارج في نفيهم الشفاعة إلى آيات من القرآن الكريم [١] أخذوها على ظاهرها ، وقصروا معناها على ما يريدون من حكم ، غير ملتفتين إلى غيرها من الآيات والأحاديث التي أثبتت الشفاعة .

والواقع أن الآيات التي استدل بها الخوارج على نفي الشفاعة ، إنما تدل على : " نفي الشفاعة عن أهل الشرك ، أو نفي الشفاعة التي يثبتها الكفار لشركائهم من الأصنام ، أو نفي الشفاعة التي تكون بغير إذن الله ورضاه ، كما تدل على ذلك ظواهر الآيات " [٢] .

وإثبات الشفاعة فيه رد على المرجئة [٣] أيضًا ، لأن غلاة المرجئة

---

(١) من هذه الآيات: البقرة/٤٨، ١٢٣، ٢٥٤، ومريم/٨٧، وطه/١٠٩، وسبأ/٢٣، والمدثر/٤٨.

(٢) شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية/ الشيخ. محمد الصالح العثيمين / ط. دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع بالسعودية/ ط. السادسة سنة ١٤٢١هـ/ ص١٢٨.

(٣) الإرجاء في اللغة: التأخير، وفي الاصطلاح: تأخير العمل وإخراجه عن حقيقة الإيمان ، وسموا بذلك لأنهم قدموا القول وأخروا العمل ، وهم فئة خالفوا رأي الخوارج في مرتكب الكبيرة وقالوا : إن كل مؤمن بوحدانية الله لا يمكن الحكم عليه بالكفر ، لأن الحكم عليه موكول إلى الله تعالى وحده يوم القيامة . يراجع في ذلك : فرق الشيعة / النوبختي/ تعليق . السيد محمد صادق / ط. المطبعة الحيدرية بالنجف سنة ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م/ ص٦ ،وتهذيب الآثار/ الطبري/ تحقيق . محمود محمد شاكر / ط. مطبعة المدني بالقاهرة / ج٢/ ص٦٥٩:= =٦٦١، والملل/ ج١ / ص١٣٩، والفصل/ ج٥/ ص ٢٠٤ ، ومجموع الفتاوى /ج٧/ ص٣٠٧ .

يقولون : إنه لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة [١] ، وكثير من عوام المسلمين عقيدتهم هي عقيدة المرجئة ، فهم يظنون أنهم لمجرد انتسابهم للإسلام سوف يدخلون الجنة من أوسع أبوابها ، ولا يقيمون للعمل والطاعات حسابًا .

تلك هي آراء كل الفرق التي خالف رأيها مذهب أهل السنة والجماعة في مسألة الشفاعة ، والحق أن الإيمان بثبوت الشفاعة لرسول الله ﷺ بناء على صريح الآيات المثبتة لها ، وعلى ما صح فيها من الأحاديث هو إجماع الأمة ، وهو مذهب السلف الصالح رضي الله عنهم .

يقول المرداوي : " شفاعة النبي ﷺ هي نوع من السمعيات قد وردت بها الآثار حتى بلغت مبلغ التواتر المعنوي ، وانعقد عليها إجماع أهل الحق ، قبل ظهور الخوارج الذين ينكرون الشفاعة " [٢] .

ورأي جمهور المسلمين أن الشفاعة لأهل المعصية من المسلمين دون الكفار والمشركين ، لقوله ﷺ (ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) [٣] .

" والأخبار في الشفاعة كثيرة ، وإن اختلفت ألفاظها ، إلا أنها متفقة

---

(١) الفرق بين الفرق / البغدادي/ ص٢٠٢.

(٢) اللآلئ البهية شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية/ المرداوي/ ط. دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع سنة ٢٠٠٦م/ ص٩٤.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٣٩)، والترمذي (٢٤٣٥) ، وأحمد (١٣٢٢٢) ، وخلاصة حكم المحدث صحيح ، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح، وقال الشيخ الألباني : صحيح عن أنس بن مالك .

المعنى ، وأطبق سلف هذه الأمة على تصحيح هذه الروايات ، لم ينكرها أحد من الصحابة والتابعين ، ولو كانت غير صحيحة لكان الصحابة والتابعون أشد إنكارًا لها من المعتزلة " [١] .

وفي هذا الصدد يقول ابن حزم [٢] : " اختلف الناس في الشفاعة ، فأنكرها قوم وهم المعتزلة والخوارج ، وكل من تبع أن لا يخرج أحد من النار بعد دخولها "[٣] .

ويقول ابن تيمية أيضًا : " وأما الوعيدية من الخوارج والمعتزلة، فزعموا أن شفاعته إنما هي للمؤمنين خاصة في رفع الدرجات، ومنهم من أنكر الشفاعة مطلقًا " [٤] .

---

(١) الانتصار في الرد على المعتزلة / يحيي بن أبي الخير العمراني الشافعي اليمني ت ٥٥٨هـ / تحقيق د. سعود بن عبد العزيز / نشر أضواء السلف – فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية سنة ١٤١٩هـ / ج٣/ ص٦٩٨.

(٢) هو: أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم (٩٩٤ – ١٠٦٣م)، ولد ومات بقرطبة الأندلس، وكان ظاهريًا، شديد النقد للفرق الإسلامية واليهودية والنصرانية، ويعد كتابه (الفصل) أول مؤلف في الديانات المقارنة سواء بالعربية أو بغيرها. الموسوعة الفلسفية / د. الحفني/ ص ١٣.

(٣) الفصل / ابن حزم/ ج٤/ ص٦٣.

(٤) مجموعة الرسائل والمسائل / ابن تيمية / ج١/ ص ١٠، ١١، وأيضًا : التوسل والوسيلة / ابن تيمية/ تحقيق . عبد القادر الأرناؤوط / نشر رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء سنة ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م/ ص١١ ، ومجموع الفتاوى /ج١/ ص١١٦ .

ويقول شارح الطحاوية : " والمعتزلة والخوارج أنكروا شفاعة نبينا وغيره في أهل الكبائر "[١] .

وأما بالنسبة للإمام الأشعري فإنه أيضًا في هذه المسألة قد سلك مسلكًا وسطًا ، فقال إن للرسول شفاعة مقبولة في المؤمنين المستحقين للعقوبة ، يشفع لهم بأمر الله تعالى وإذنه ، ولا يشفع إلا لمن ارتضى .

يقول الأشعري : " وقال أهل السنة والاستقامة بشفاعة رسول الله ﷺ لأهل الكبائر من أمته ... وقالوا إن الله يخرج أهل القبلة الموحدين من النار ولا يخلدهم فيها "[٢] .

ويقول في موضع آخر : "إن الله ﷻ يخرج قومًا من النار بعد أن امتحشوا بشفاعة رسول الله ﷺ تصديقًا لما جاءت به الروايات عن رسول الله ﷺ " [٣] .

وذكر أيضًا : " إجماع أهل السنة والجماعة على شفاعته ﷺ لأهل الكبائر من أمته ، وعلى أنه يشفع عند الله تعالى ، فيخرج قوم من أمته من النار بعد ما صاروا حممًا " [٤] .

ويقول الإيجي [٥] : " أجمعت الأمة على أصل الشفاعة ، وهي عندنا –

---

(١) شرح الطحاوية /أبي العز الخفي / ص١٨١.

(٢) مقالات الإسلاميين/ ج٢/ ص ١١٦.

(٣) الإبانة في أصول الديانة / الأشعري / ج١/ ص ٢٠.

(٤) رسالة إلى أهل الثغر / الأشعري/ ص٩٧.

(٥) هو : عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار بن أحمد الإيجي الشيرازي ، ولد بإيج من نواحي شيراز سنة ثمانية وستمائة ، وقيل بعد السبعمائة ، كان رحمه الله عالمًا

يقصد أهل السنة – لأهل الكبائر من الأمة لقوله ﷺ شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي ، ولقوله تعالى :﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ (١) ، أي ولذنب المؤمنين لدلالة القرينة ،وطلب المغفرة شفاعة " (٢) .

وعلى هذا الأساس ، فإن الشفاعة لأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ من الأمور المجمع عليها عند أهل السنة والجماعة ، وهذا ما أقره الأشاعرة جميعًا .

ثامناً : مسألة تكفير مرتكب الكبيرة .

ما من شك في أن الفكر الأشعري يتصف عموماً بالوسطية في الاعتقاد تجاه المخالف ، فلا يكفر أحداً من أبناء القبلة ، بل يرى أن الإسلام ينتظم الجميع ، ولا يجرى حكم الكفر في الظاهر إلا على من أنكر معلوماً من الدين بالضرورة (٣).

وانطلاقًا من هذا بنى الإمام الأشعري ومدرسته معتقدهم بالتحذير من المجازفة في تكفير المسلمين ، وخطر ذلك على الدين ، فينبغي أن لا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنبٍ يرتكبه ، كما دانت بذلك الخوارج ، أو أنه

وإمامًا في المعقولات ، محققًا مدققًا عارفًا بالأصلين الكلام وأصول الفقه والمعاني والبيان والنحو ، وتوفي سنة ست وخمسين وسبعمائة . المواقف في علم الكلام (ترجمة المؤلف)/ عبد الرحمن الإيجي / ط. مكتبة المتنبي بالقاهرة / ص٢١ .

(١) سورة محمد / من الآية ١٩.

(٢) المواقف/ الإيجي/ ص ٣٨٠.

(٣) يراجع فى ذلك: مقالات الإسلاميين / الأشعري/ ج١/ ص٣٤، والفرق بين الفرق / البغدادي / ص ٣١٢.

في منزلة بين المنزلتين كما قال واصل بن عطاء .

يقول الأشعري : " إن من عمل كبيرة من الكبائر وما أشبهها مستحلًا لها كان كافرًا إذا كان غير معتقد تحريمها ، وأما من ارتكب ذلك وهو مقر بالخطأ والذنب فهو فاسق مجرم وليس كافرًا " (١).

وهكذا يبدو : " التسامح الديني في فكر الأشعري المجدد ، تسامحًا نفسيًا وجدانيًا صادرًا من قلبه ، وتسامحًا عقليًا يعذر المختلفين بأن العبارات تسبب هذا الاختلاف ، فيصوب اجتهادهم في الفروع ، ولا يكفر أحدًا من أهل القبلة في الأصول " (٢).

لقد كانت بداية الأشعري في محاولته لاجتذاب الأطراف كلها إلى مركزه ، أن ابتدأ بخطة عملية رسم فيها : " نبذ تكفير أهل القبلة ، لأن الجميع يشيرون إلى معبود واحد ، وداخلون تحت عنوانه ، وهو الإسلام"(٣).

ولا يكاد الأشعري يختلف مع السواد الأعظم من مفكري الإسلام قديماً وحديثاً ، فالمسلمون كغيرهم من الأمم التي لديها كتاب سماوي ، لم

---

(١) مقالات الإسلاميين / الأشعري/ ج١/ص ٣٢٢، واللمع/ الأشعري / ص ١٢٣، ١٢٤.

(٢) المجددون في الإسلام / أمين الخولي / ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠١٧م/ ص ١٢٩.

(٣) الإبانة عن أصول الديانة / الأشعري/ تحقيق د. فوقية حسين / ص٢٦.

يختلفوا عنه ، ولكن اختلفوا فيه [١] ، وأصل الاختلاف يرجع إلى طريقة الفهم .

ولما كان الفكر الأشعري بهذه الكيفية كان امتداده الواسع على النطاق المكاني والزماني ، مظهراً من مظاهر العدل الطبيعي ، محققاً من النجاح الثقافي والسياسي ، ما لم يحققه مذهب آخر من مذاهب الفكر الإسلامي ، أو على حد تعبير ابن خلدون : لأن عمر الحادث من قوة مزاجه [٢].

تاسعاً: مسألة الاختلاف الذي جرى بين الصحابة.

لقد أدرك أهل السنة والجماعة ومنهم الأشاعرة مكانة الصحابة ﷺ ، ودورهم في حفظ الشريعة وتمثلها ، وأن النيل منهم والطعن فيهم مدخل لهدم الدين من الداخل ، ومن ثم رأيناهم يخصصون مبحثًا في آخر مؤلفاتهم العقدية – وهو مبحث ليس من صميم العقيدة – للخلاف الذي جرى بين الصحابة رضي الله عنهم .

إن المتأمل للاختلاف على عهد الصحابة يجده يرجع في طبيعته إلى أصلين هما:

---

(١) وفى هذا الشأن جملة من الآيات القرآنية ، التى تدل على هذا المعنى بنوع من التحذير للمسلمين ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ﴾ البقرة/ من الآية٢١٣، وقوله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ آل عمران/ الآية١٠٥ ، وقوله :﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ البينة / الآية ٤.

(٢) المقدمة / ابن خلدون / ص ٢٥٠.

(أ) احتمال النصوص الشرعية لمعانٍ متعددة.

(ب) اختلاف المدارك والأفهام والعقول .

وإذا وقع هذا الاختلاف بين الصحابة نجدهم يسارعون في رده إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فيرتفع بذلك الخلاف بينهم ، ويخضعون لأمر الله ورسوله .

يقول الخليفة عمر بن عبد العزيز: " ما أحب أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا، لأنه لو كان قولًا واحدًا كان الناس في ضيق، وإنهم أئمة يقتدى بهم ، فلو أخذ رجل بقول أحدهم كان في سعة " (١) .

هذا ، ويعتقد الخوارج بتكفير بعض الصحابة ﷺ ؛ مع أن بعضهم من المشهود له بالجنة ، ولكن بحسب اعتقادهم المعكوس فهم يرون أنهم قد كفروا ببعض الذنوب التي اقترفوها ، مع أنها في الحقيقة لم تكن ذنوبًا ؛ وإنما كانت ناتجة عن اجتهاد ، ونحن نقطع بأنه لا عصمة لبشر عن الذنوب بعد الأنبياء ، أو كما ذكر الإيجي : أن أبا بكر لا تجب عصمته اتفاقًا(٢) .

وأول من أشتد الخوارج في تكفيرهم من الصحابة بعد عثمان وعلي رضى الله عنهما ،معاوية بن أبي سفيان ، وعمرو بن العاص ، وأبو موسى الأشعري ، وأهل التحكيم ومن رضي بهم من غيرهم ، أو كما قال

---

(١) جامع بيان العلم وفضله/ ابن عبد البر/ تحقيق. أبي الأشبال الزهيري/ ط. دار ابن الجوزي بالدمام/ ط. الأولى سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م/ ج٢ /ص ٩٠٢ .

(٢) المواقف / الإيجي /ص ٣٩٩.

الأشعري : ويكفرون معاوية وعمرو وأبا موسى الأشعري [١] .

وقد وصف زعيم الإباضية [٢] عبد الله بن إباض ، عثمان ومعاوية ويزيد بقوله : " إنا نشهد الله وملائكته أنا براء منهم ، وأعداء لهم بأيدينا وألسنتنا وقلوبنا ، نعيش على ذلك ما عشنا ، ونموت عليه إذا متنا، ونبعث عليه إذا بعثنا ، نحاسب بذلك عند الله " [٣] .

وفى كل ما تقدم مخالفة صريحة لقوله ﷺ : (لا تسبوا أصحابي ، فو الذي نفسي بيده ، لو أن أحكم أنفق مثل أحد ذهبًا ، ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه) [٤] .

" وموقف الخوارج من الحسن ﷺ هو نفس موقفهم من أبيه، فيذكرون أن الحسن لما تولى الخلافة خدعه معاوية، كما خدع أباه من

---

(١) مقالات الإسلاميين / الأشعري/ ج١/ ص٢٠٤.

(٢) هي: إحدى فرق الخوارج، وتنسب إلى مؤسسها عبد الله بن إباض التميمي، ويدعى أصحابها أنهم ليسوا من الخوارج، وينفون عن أنفسهم هذه النسبة ؛ ولكنهم في الحقيقة يتفقون مع الخوارج في مسائل عديدة منها: تعطيل الصفات، والقول بخلق القرآن، وتجويز الخروج على أئمة الجور. الإباضية (عقيدة ومذهبًا) / د. صابر طعيمة / ط. دار الجيل ببيروت سنة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م / ص١٧.

(٣) كشف الغمة في معرفة الأئمة / علي بن عيسى الإربلي / مكتبة بنى هاشمي – تبرز سنة ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م/ ص ٢٩٥.

(٤) رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١) ، من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ .

قبل"[1].

ولم يعلم صاحب كتاب كشف الغمة، أن تنازل الحسن كان تصديقًا لقول النبي ﷺ فيه: (ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين) [2] .

وأما موقف غلاة الإباضية من طلحة والزبير ، فهو لا يقل عن موقفهم من علي وعثمان ، فهما عندهم في منزلة البراءة ، وينسبون هذا الموقف لجميع المسلمين ،أو كما يذكر : " فإن قال قائل فما تقولون في طلحة والزبير ، قلنا : إنهما عند المسلمين بمنزلة البراءة " [3] .

وما أحرى بالمسلم أن يترك تنطع الخوارج والشيعة في موقفهم من الصحابة ، ويجب علينا أن : " نحسن الظن بهم ، وأن نعتبر ما جرى بينهم من فتن لأمور وحكم أرادها الله ، ونكل أمرهم فيها إلى الله ، ولا نقول فيهم إلا خيرًا " [4] .

وبمثل هذه الفتنة من الخوارج يكونوا قد انشقوا عن جماعة المسلمين ، وأعلنوا خروجهم على علي بن أبي طالب ، وغالوا في الوعد والوعيد ، وقالوا : " بتكفير العصاة ، واتخذوا من تكفير المسلمين مبررًا

---

(١) كشف الغمة / الإربلي/ ص٢٨٩.

(٢) رواه البخاري (٢٧٠٤) من حديث أبي بكرة ﷺ .

(٣) كشف الغمة / الإربلي/ ص٣٠٤.

(٤) الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها / د. غالب علي عواجي/ ط. المكتبة العصرية الذهبية بالسعودية / ط. الثانية سنة ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م/ ص ٤٧٦.

للخروج على ولاة الأمر ، واستباحوا بذلك دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم بغير حق ، وقصروا الإيمان على جماعتهم ، وتشعبت منهم فرق كثيرة " [١].

وأما أهل السنة فإنهم : " يؤمنون بعدالة كل الصحابة ، وبوجوب السكوت عما جرى بينهم ، وإثبات أجر الاجتهاد لهم ، ولا يكفرون أحدًا من أهل القبلة بذنب يرتكبه ، واتفقوا على وجوب السمع والطاعة لولاة الأمور، وعدم جواز الخروج عليهم وإن كانوا عصاة " [٢] .

قال النووي : " وأما الخروج عليهم (الأئمة) وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين ، وإن كانوا فسقة ظالمين "[٣].

وهكذا ينبغي أن يكون الفهم الصحيح والدعوة إليه في سياقه التاريخي ،وفي نطاق استحضار قيم الاختلاف المحمود ، والاجتهاد الذي

---

(١) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير/ ط. دار طيبة سنة١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م/ تفسير الصفحة رقم ٥٠ من المصحف (الآية رقم ٧ / من آل عمران).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري/ الحافظ بن حجر العسقلاني/ ط. المكتبة السلفية بالرياض سنة ١٣٧٩هـ /كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (باب قوله تعالى): ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ وما أمر النبي ﷺ بلزوم الجماعة وهم أهل العلم – حديث رقم٦٩١٧/ ص٣٢٨، ٣٢٩، وأيضًا : جامع العلوم والحكم/ابن رجب الحنبلي / ط. مؤسسة الرسالة سنة١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م- الحديث رقم ٢٨/ج٢/ص١٠٩: ١١٢.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم/ يحيي بن شرف أبو زكريا النووي/ ط. دار الخير سنة١٤١٦هـ -١٩٩٦م/ حديث رقم١٨٣٤/ ص ٥٣٦.

وصفوا به جميعًا ﷺ ؛ على أن الأسلم للدين عدم الخوض في شيء من ذلك ، أو كما قال الآمدي رحمه الله : " تلك دماء طهر الله سيوفنا منها ، أفلا نطهر ألسنتنا " (١).

وأما الإمام الأشعري رحمه الله ، فإيمانًا منه بمكانة الصحابة ﷺ ، اعتبر ما جرى بينهم من خلافات لا يخرج عن دائرة الاجتهاد والتأويل ، وهم مصيبون في كل الأحوال بمقتضى قاعدة أن كل مجتهد مصيب(٢).

ولما تحدث الإمام الأشعري على عقيدة أهل السنة في هذا الموضع الخطير، ذكر أن : " هؤلاء يعرفون حق السلف الذين اختارهم الله سبحانه وتعالى لصحبة نبيه ، ويأخذون بفضائلهم ، ويمسكون عما شجر بينهم "(٣).

وعلى هذا الأساس فإن : " الصحابة كلهم على الحق ، وأنهم لم يختلفوا في الأصول ، وإنما اختلفوا في الفروع ، فأدى اجتهاد كل واحد منهم إلى شيء ، وهو مصيب وله الأجر والثواب على ذلك "(٤).

وبعد هذا التطواف مع هذه الأنماط والنماذج من الفكر الأشعري ، يمكننا أن نقول : إنه بهذه الوسطية التي أضحت سمة بارزة في الفكر الأشعري عمومًا ، فقد استطاع هذا الفكر أن يصمد أمام مختلف التيارات الهدامة التي

---

(١) أبكار الأفكار/ الآمدي/ ج٢/ ص٤٢٤.
(٢) شرح السنوسية الكبرى/ ص٢٩٠.
(٣) الإبانة / الأشعري/ ص٢٦٠.
(٤) أبكار الأفكار/ الآمدى/ ج٥/ ص٢٩٥.

عرفتها الحياة الإسلامية ، ووجد طريقه للانتشار بين مختلف أقطار العالم الإسلامي حتى تلاشى غيره من المذاهب .

إن مسألة التوسط والاعتدال على نحو ما سبق عرضه في الفكر الأشعري ؛ لهو أنموذج فريد وخطاب بديع ، في مواجهة كافة الآراء المغالية والمتطرفة ، يهدف إلى تحقيق الاعتقاد السليم الذي يبنى على الفهم المستنير والتسامح والاجتهاد ، وقبول الآخر ، وعدم تكفير المخالف(١).

ولما كان الفكر الأشعري مقتنعًا بأهمية هذه الوسطية والاعتدال في تقرير العقائد الدينية ، فقد جاءت المنظومة الفكرية الأشعرية شاملة لسائر القضايا العقدية التي يتناولها مصطلح علم الكلام الإسلامي .

هذه المكانة العظيمة والمنزلة الرفيعة للشيخ جعلته في مقدمة أهل السنة، ومن أجل ذلك فقد تنازع فيه أصحاب المذاهب الفقهية تشريفًا به، وقد رجح الشيخ الكوثري أن سبب انجذاب أهل المذاهب له ، أنه: " كان ينظر في فقه المذاهب، ولا يتحزب لبعضها على بعض، بل ينسب إليه القول

---

(١) إن مسألة عدم تكفير المخالف لهي من الخطوط العريضة للمدرسة الأشعرية ، حيث إنهم لم يكفروا أحدًا من مخالفيهم من أهل القبلة كالمعتزلة والشيعة والخوارج وغيرهم ، فالشيخ يرى أن الطريق بيننا وبينهم هو المناظرة والجدل العلمي حتى نصل إلى الحق ، إلا من رفع السلاح في وجهنا ، ثم إن التكفير حكم قضائي يعود للمحاكمة كما هو معروف في باب الردة من كتب الفقه ، ولذلك قرر بعض الفقهاء استتابة المرتد .إمام أهل الحق (الأشعري)/ د. عبد القادر محمد الحسين/ ص٦٢ : ٦٦ .

بتصويب المجتهدين في الفروع، وهذا ما يسر له جمع كلمة أهل السنة حول دعوته الحقة "[١].

ونظرًا لعمق تأثير الأشعري في آرائه ومواقفه ، تجاذبه الشافعيون والمالكيون والحنابلة ، ساعدهم في ذلك أن : "أبا الحسن أخذ من كل الفرق وتخير ما ظنه حسنًا موافقًا للدين ، لكن متطرفي المعتزلة حاربوه ، وبقي الجدل قائمًا بعد وفاته أكثر من مائتي سنة " [٢].

وما أشد حاجة المجتمعات الإسلامية إلى مثل هذا التيار الفكري المعتدل ، الذي يقوم على طرح مفهوم الوسطية فكرًا وأداءًا وتعاملاً وسلوكًا ، ولذا فإن الوسطية منهج فكري يقوم على الاعتدال في كل أمور الحياة ، وهذا يرجع من وجهة نظري : إلى قوة الفكرة وتماسكها ، واعتدال الطرح ، وما فيه من المرونة التى تمكنه من التكيف مع الظروف ، مما أدى إلى تأسيس منظومة فكرية شاملة في كل أنواع المعرفة.

(١) تعليق الشيخ الكوثري على تبيين كذب المفتري / لابن عساكر / ص ٩٨.
(٢) موسوعة عباقرة الإسلام / د. محمد أمين فرشوخ / ط. دار الفكر العربي سنة١٩٦٦م/ ص٩٥.

" الخاتمة "

بعد حمد الله الذى علم الإنسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث بالدين المسدد المحكم ، وعلى آله وأصحابه أئمة الهدى ومصابيح الدجى .

فإن هذا البحث يعد واحداً من البحوث التخصصية في علم الكلام ؛ خاصة وأن بعض الدراسات في مثل هذه الموضوعات إن لم تكن موضوعية ، فإن أغلبها يجنح إلى المذهبية والعصبية، خلافًا لما عليه أهل الحق، ولهذا فإن المكتبة الإسلامية لا تزال في حاجة هامة إلى إبراز مثل هذه الوسطية والشمولية والموضوعية والأصالة التي غمرت جميع جوانب هذا الفكر .

وتبعاً للوظيفة المنهجية للخاتمة ، فإنى سأعمد إلى عرض أهم النتائج التى توصلت إليها فى البحث ، وتتلخص فيما يأتى :

أولًا : أثبت المذهب الأشعري بما يحويه من فكر سني ، ومنطق عقلي؛ أنه من أنسب المذاهب الفكرية التي يجب أن يحيط بها الباحثون المعاصرون دراسة وفهمًا وتطبيقًا ، فإن ذلك يؤهلهم لمستوى أرفع في المنطق والبيان والحجة والحوار .

ثانيًا : إن ما بذله الأشاعرة من جهود وأوقات في الرد على المعارضين لهم ، وما أنتجوه من براهين وحجج في محاورة المجادلين ، يعد دليلًا واضحًا على الاعتراف بالفكر الآخر ، ومحاولة صادقة للوصول

إليه عبر الحجاج والحوار ، يتضح هذا لكل من قرأ عن تراث الأشاعرة الفكري ، الذي ضم كثيرًا من المناظرات والحوارات العلمية الدقيقة .

ثالثًا : بالرغم من أن الأشعري كان في زمان علمي انتشر فيه التصانيف والتآليف ، وعلى وجه الخصوص الفكر الاعتزالي الموسوم بالنزعة العقلية ، وظهور آرائهم الفكرية التي كانت على الساحة وقتها ؛ إلا أنه مع ذلك استطاع الشيخ الأشعري أن يرد هذا التيار بذكائه العجيب ، وحججه التي أقامها على دعائم سديدة وأركان قويمة ، وبما يعيد الأمور لما كان عليه أهل الحق ، وجمع الجمهور الأعظم من المسلمين على كلمة سواء .

رابعًا : لم يكن الأشعري في عصره هو الداعي إلى الوسطية والتوفيق فقط ، ففي نفس الفترة ظهرت الماتريدية في بلاد ما وراء النهر على يد الماتريدي ، وظهرت الطحاوية في مصر على يد الطحاوي ، إلا أنه مع ذلك كان الأكثر أتباعًا والأبعد تأثيرًا والأشد عمقًا والأقرب رحمًا .

خامسًا : توسط الإمام الأشعري بين الطرق كما هو شأنه في سائر المسائل ، وليس توسطه هذا جمعًا للآراء ، أو الخروج برأي وسط في المسألة ، وإنما توسطه كان مبنيًا على التوفيق بين النقل والعقل ، واصطحب فيه الرأي والشرع ، فلا هو تصرف بمحض العقول ، بحيث لا يتلقاه الشرع بالقبول ، ولا هو مبني على محض التقليد ، الذي لا يشهد له العقل بالتأييد والتسديد .

سادسًا : أكد الملتقى العالمي الخامس للرابطة العالمية لخريجي الأزهر(والتي ينضوي فيها أكثر من ستين ألف عضو من مختلف دول العالم الإسلامي) بقيادة شيخه فضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الطيب (حفظه الله) على أن الأشعري بموقفه العقدي ، ومنهجه الكلامي ، وتراثه الفكري، يعتبر أصدق أنموذج لمعالم الوسطية الإسلامية ، التي يمكن التصدي بها لنزعات الغلو والتطرف التي أشاعت ثقافة التدابر والتكفير في مجتمعات المسلمين في العصر الحاضر .

سابعاً : لقد رفض الأشاعرة تكفير أهل القبلة من المسلمين ، لأن الجميع يشيرون إلى معبود واحد ، وذلك ضرورى لمواجهة التيارات الفكرية التكفيرية ، والتى تتبنى فكراً تضليلياً أو تيئيسياً من حيث المنهج والمضمون .

ثامنًا : من منهجية الفكر احترام وتقدير المذاهب العقدية الإسلامية الصحيحة ، التى تتمسك بالأصول والثوابت ، مع مراعاة التكيف والمرونة فى التعامل مع المتغيرات العصرية .

وبعد هذا التطواف مع الفكر الأشعرى ، نرى أنه كان للشيخ وتلاميذه من بعده ، إسهامات عديدة امتدت عبر القرون ، وهذا دليل على رساخة ذلك الفكر وقيمته الكبرى فى تاريخ الفكر الإسلامى ، وتلك الدراسة كانت محاولة للكشف عن بعض جوانب ذلك الفكر ، فى الأصالة والوسطية والاستمرارية ، نرجو من المولى ﷻ أن يعقبها محاولات أخرى ، وأن يلتف الباحثون حول أهمية ذلك النوع من التفكير ، ويتناولوه بالبحث

والدراسة .

وهذا هو جهدى ، أقدمه مشفوعاً بحمد الله ﷻ على توفيقه وعونه، والله أسأل أن يتقبل هذا البحث منى قبولاً حسناً ، ويجعله فى ميزان حسناتى ، وحسنات من تجشم عناء المتابعة والتقويم ، إنه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير ، وصلى الله على الحبيب الطبيب ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

" ثبت المصادر والمراجع "

١- القرآن الكريم – جل من أنزله.
٢- السنة النبوية المطهرة – المصدر الثانى للتشريع الإسلامى .
٣- أبعاد التجربة الفلسفية / د. ماجد فخرى / ط. دار النهار للنشر ببيروت سنة ١٩٨٠م.
٤- أبكار الأفكار في أصول الدين/ الآمدي/ تحقيق د. أحمد محمد المهدي/ ط. دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة سنة ١٤٢٣هـ .
٥- ابن تيمية (حياته وعصره – آراؤه وفقهه) / الشيخ محمد أبو زهرة / ط. دار الفكر العربي بالقاهرة سنة ١٩٩١م.
٦- ابن رشد الجد/ تحقيق. محمد حجي /ط. دار الغرب الإسلامي ببيروت / ط. الأولى سنة ١٩٨٤م.
٧- أبو الحسن الأشعري / د. حمودة غرابة / ط. مطبعة الرسالة بالقاهرة سنة ١٩٥٣م.
٨- أبو الحسن الأشعرى بين المعتزلة والسلف / هادى أحمد على طالبى / ط. السعودية سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٩- أثر الأسس الفكرية للمذهب الأشعرى فى الدعوة الإسلامية المعاصرة / بسيونى محمد نحيلة / مجلة علوم الشريعة والقانون بجامعة قطر / المجلد ٤٥ – العدد ٤ – ملحق ٣ سنة ٢٠١٨م.
١٠- اجتماع الجيوش الإسلامية / ابن القيم / ط. مطبعة الإمام بالقاهرة.
١١- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم/ المقدسي /ط. صادر بيروت/ ط. الثالثة سنة ١٤١١هـ .

١٢- أخبار الدولة السلجوقية / صدر الدين الحسيني/ ترجمة . محمد إقبال/ط. دار الآفاق الجديدة ببيروت سنة ١٩٨٤م.
١٣- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول / الشوكانى / تحقيق . أبى حفص سامى بن العربى / ط. دار الفضيلة / ط. الأولى سنة ٢٠٠٠ م.
١٤- أساس التقديس/ الرازي/ط. مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة سنة ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م.
١٥- استحسان الخوض فى علم الكلام / الأشعرى / مراجعة وتقديم . محمد الولى الأشعرى القادرى الرفاعى / ط. دار المشاريع للطباعة والنشر ببيروت – لبنان سنة ١٩٩٥ م.
١٦- أسرار البلاغة/ الجرجاني/ ط. مطبعة وزارة المعارف بإسطنبول سنة ١٩٥٤م.
١٧- إسلامنا / د. مصطفى الرافعى / ط. مؤسسة الأعلمى ببيروت .
١٨- إشارات المرام من عبارات الإمام أبي حنيفة النعمان في أصول الدين/ كمال الدين البياضي/ ط. دار الكتب العلمية ببيروت سنة ٢٠٠٧م.
١٩- أصول البحث العلمى ومناهجه / أحمد بدر / ط. المكتبة الأكاديمية بالقاهرة سنة ١٩٩٦م.
٢٠- أصول الدين / البزدوى / ط. هانز بيترلس – القاهرة سنة ١٩٦٣م.
٢١- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين / الرازى / تحقيق د. على سامى النشار / ط. مكتبة النهضة العربية بالقاهرة سنة ١٩٨٣م.

٢٢- إمام أهل الحق (أبو الحسن الأشعرى) / عبد القادر محمد الحسين / ط. دار المشرق للكتاب / ط. الأولى سنة ٢٠١٠م.
٢٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل / البيضاوي/ ط. مصطفى البابي الحلبي بمصر/ ط. الثانية سنة ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.
٢٤- أوائل المقالات في المذاهب والمختارات/ الشيخ المفيد /تحقيق د. مهدي محقق/ ط. طهران مؤسسة مطالعات إسلامي دانشكاه سنة ١٤١٣هـ .
٢٥- أهل السنة (الأشاعرة) وشهادة علماء الأمة / د. محمد حسن هيتو / ط. دار الضياء للنشر والتوزيع بالكويت / ط. الأولى سنة ١٤٢٧هـ .
٢٦- إيثار الحق على الخلق / ابن الوزير اليماني/ ط. دار الكتب العلمية ببيروت / ط. الأولى سنة ١٤١٣هـ - ١٩٨٣م.
٢٧- الإباضية(عقيدة ومذهبًا)/د. صابر طعيمة / ط. دار الجيل ببيروت سنة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٢٨- الإبانة عن أصول الديانة / الأشعرى / تحقيق د. فوقية حسين محمود / ط. دار الأنصار بالقاهرة سنة ١٩٨٧م.
٢٩- الأربعين في أصول الدين/ الغزالي/تحقيق الشيخ . مصطفى أبو العلا/ ط. مكتبة الجندي بالقاهرة سنة ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
٣٠- الإرشاد / الجوينى / تحقيق د. محمد يوسف موسى / ط. مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م.
٣١- الاستدلال فى علم الكلام (الأشعرى) / يوسف مدرارى / نشر مركز نماء للبحوث والدراسات / ط. الأولى سنة ٢٠٢٠م.

٣٢- الاستقصا لأخبار دول الغرب الأقصى/ الناصري/ ط. الدار البيضاء سنة ١٩٥٤م.
٣٣- الأصول الخمسة / القاضي عبد الجبار / تحقيق د. عبد الكريم عثمان / ط. مطبعة الاستقلال الكبرى بالقاهرة / ط. الأولى سنة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥م.
٣٤- الاعتصام/ الشاطبي/ تحقيق د. محمد عبد الرحمن وآخرين/ ط. دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع بالسعودية / ط. الأولى سنة ١٤٢٩هـ .
٣٥- الأعلام / الزركلى / ط. دار العلم للملايين / ط. الخامسة عشر سنة ٢٠٠٢م.
٣٦- الإفصاح فى فقه اللغة / حسن يوسف - عبد الفتاح الصعيدى / ط. دار الفكر العربى .
٣٧- الاقتصاد فى الاعتقاد / الغزالى / تحقيق . محمد مصطفى أبو العلا / ط. مكتبة الجندى بالقاهرة سنة ١٩٧٢م.
٣٨- الإلهيات من شرح السيد الشريف الجرجانى على المواقف / د. سليمان سليمان خميس / ط. دار الطباعة المحمدية بالقاهرة / ط. الأولى سنة ١٩٦٦م.
٣٩- الإمام أبو الحسن الأشعرى ومؤلفاته / عبد الواحد جهدانى / ط. دار الكتب العلمية ببيروت سنة ١٩٧١م.
٤٠- الإمام المازري/ حسن حسني عبد الوهاب/ ط. دار الكتب الشرقية بتونس سنة ٢٠١٥م.
٤١- الإمام محمد عبده والقضايا الإسلامية / د. عبد الرحمن بدوى / ط.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠٠٥م.

٤٢- الانتصار / أبو الحسين الخياط / تقديم . محمد حجازى / نشر مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة سنة ١٩٨٨م.

٤٣- الانتصار في الرد على المعتزلة/ يحيي بن أبي الخير العمراني الشافعي اليمني ت ٥٨٨هـ / تحقيق د. سعود بن عبد العزيز/ نشر أضواء السلف – فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية سنة ١٤١٩هـ.

٤٤- الإيمان / الحافظ محمد بن إسحاق بن يحيى بن مندة / تحقيق د. على بن محمد بن ناصر الفقيهى / ط. مؤسسة الرسالة ببيروت / ط. الثالثة سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٤٥- البداية والنهاية / ابن كثير / ط. مكتبة المعارف ببيروت / ط. الرابعة سنة ١٩٨٢م.

٤٦- البدر الطالع / الشوكانى / ط. القاهرة سنة ١٣٤٨ هـ .

٤٧- البنية الإصلاحية للنص الفلسفي / مختار بولخمایر / مجلة الوحدة بالرباط – العدد ٩٨ سنة ١٩٩٢م.

٤٨- البيضاوى وآراؤه الكلامية والفلسفية / د. حموده السعفى / ط. المكتبة الأزهرية للتراث بالأزهر / ط. الأولى سنة ١٩٨٢م.

٤٩- التاريخ الدبلوماسي للمغرب/ عبد الهادي التازي/ ط. مطابع الفضالة / ط. الأولى سنة ١٩٨٧م.

٥٠- التسهيل لعلوم التنزيل/ أبو القاسم الكلبى ت ٧٤١هـ / تحقيق . محمد سالم هاشم/ ط. دار الكتب العلمية ببيروت سنة ٢٠٠٧م.

٥١- التعريفات / الجرجانى / ط. مصطفى الحلبى بالقاهرة سنة ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م.

٥٢- التفسير والمفسرون / الذهبى / ط. دار الكتب الحديثة .
٥٣- التفكير العلمى ومناهجه / د. سمير حامد محمد عبد العال / ط. مطبعة دار الهلال بأسيوط سنة ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٥٤- التمهيد/ الباقلاني/ نشرة الأب مكارثي/ ط. المكتبة الشرقية ببيروت سنة ١٩٥٧م.
٥٥- التوسل والوسيلة/ ابن تيمية/ تحقيق . عبد القادر الأرناؤوط/ نشر رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء سنة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٥٦- الحركة العلمية والثقافية عند المرابطين/ علية الأندلسي/ نشر ميثاق الرابطة سنة ٢٠١٠م.
٥٧- الخصال/ الشيخ الصدوق ت ٣٨١هـ / تحقيق. على أكبر الغفاري/ ط. مؤسسة النشر الإسلامي سنة ١٤٠٣هـ - منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية - قم المقدسة.
٥٨- الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها/ د. غالب علي عواجي/ ط. المكتبة العصرية الذهبية بالسعودية/ ط. الثانية سنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٥٩- الدر الثمين/ ابن السباعي/ تحقيق. أحمد بنبين ، ومحمد حنشي/ ط. دار الغرب الإسلامي بتونس/ ط. الأولى سنة ١٤٣٠هـ .
٦٠- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة / الحافظ بن حجر العسقلانى/ تحقيق . محمد سيد جاد الحق / ط. دار الكتب الحديثة / ط. الثانية سنة ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م.
٦١- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب/ ابن فرحون/ ط. مطبعة المدينة سنة ١٩٧٢م.

٦٢- الدين والثورة فى العالم الثالث / د. حيدر إبراهيم على / ط. دار النيل بالإسكندرية / ط. الثانية سنة ١٩٩٣م.
٦٣- الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية/ محمد صالح الزركان/ ط. دار الفكر العربي سنة ١٩٦٣م.
٦٤- الرد على الزنادقة والجهمية / الإمام أحمد بن حنبل / تحقيق . دغش بن شبيب العجمى / ط. دار غراس / ط. الأولى سنة ١٤٢٦هـ .
٦٥- الرد على المنطقيين/ ابن تيمية/ ط. دار المعرفة ببيروت.
٦٦- الرسالة / القيروانى / (مع شرح الثمر الدانى فى تقريب المعانى لرسالة القيروانى) / الشيخ صالح بن عبد السميع الآبى الأزهرى (ت١٣٣٥هـ) / ط. مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بالقاهرة سنة ١٣٨٣هـ .
٦٧- الرسالة اللدنية / الغزالى / ط. مطبعة كردستان العلمية سنة ١٣٢٨هـ .
٦٨- الزنادقة وموقف أئمة المسلمين منهم / د. سعد العريفى / ط . دار التوحيد بالرياض / ط. الأولى سنة١٤٣٤هـ.
٦٩- الشامل في أصول الدين/ الجويني/ تحقيق د. النشار/ ط. دار المعارف الإسلامية سنة ١٩٦٩م.
٧٠- الشيعة (نص الحوار مع المستشرق كوربان) / تعريب جواد على – محمد حسين الطباطبائى / ط. مؤسسة أم القرى / ط. الأولى سنة ١٤١٦هـ.
٧١- الصفدية/ ابن تيمية / تحقيق د. محمد رشاد سالم / ط. شركة

مطابع حنيفة بالرياض سنة ١٩٧٦م.

٧٢- الطبيعيات فى علم الكلام (من الماضى إلى المستقبل) / د. يمنى طريف الخولى / / ط. مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة بالقاهرة سنة ٢٠١٤ م .

٧٣- العقيدة الإسلامية والقضايا الخلافية عند علماء الكلام (دراسة مقارنة) / د. كمال الدين نور الدين مرجونى / ط. دار الكتب العلمية ببيروت سنة ١٩٧١م.

٧٤- العقيدة النظامية/ الشيخ الكوثري / ط. القاهرة سنة ١٩٨٤م.

٧٥- العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ / المقبلي / تحقيق. محمد السيد عثمان ط. دار الكتب العلمية ببيروت سنة ٢٠١٢م.

٧٦- الفتاوى / ابن تيمية / ط. مطابع الرياض / ط. الأولى سنة ١٣٨٢هـ.

٧٧- الفرق بين الفرق / البغدادى / تحقيق . محمد عثمان الخشن / ط. مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع بالقاهرة.

٧٨- الفصول المختارة/ الشيخ المفيد / تحقيق . السيد علي مير شريفي/ ط . دار المفيد للطباعة والنشر ببيروت / ط. الثانية سنة ١٤١١هـ - ١٩٩٣م.

٧٩- الفلسفة العربية الإسلامية / آرثور سعدييف ، توفيق سلوم / ط. دار الفارابى ببيروت / ط. الأولى سنة ٢٠٠٠م.

٨٠- الفهرست / ابن النديم / تحقيق. إبراهيم رمضان / ط. دار المعرفة ببيروت / ط. الثانية سنة ١٤١٧هـ .

٨١- الفيلسوف كانط والكانطية الجديدة / د. عبد الوهاب جعفر / ط. دار المعرفة الجامعية سنة ٢٠٠٠م.
٨٢- الكامل فى التاريخ / ابن الأثير / ط. بيت الأفكار الدولية .
٨٣- الكشاف / الزمخشري / ط. دار إحياء التراث العربى ببيروت / ط. الثالثة سنة ١٤٠٧هـ.
٨٤- الكواشف الجلية عن معاني الواسطية / عبد العزيز المحمد السلمان/ نشر إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد / ط. الحادية عشر سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٨٥- اللآلئ البهية في شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية / المرداوي / ط. دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع سنة ٢٠٠٦م.
٨٦- اللباب فى تهذيب الأنساب / ابن الأثير / تحقيق د. مصطفى عبد الواحد / نشر مطبعة دار التأليف بالقاهرة.
٨٧- اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع / الأشعري / نشرة الدكتور غرابة – يسوعي / ط. بيروت سنة ١٣٧٣هـ .
٨٨- المباحث اللسانية عند الأشاعرة / رزوق نوارى / رسالة دكتوراه – جامعة باتنة بالجزائر سنة ٢٠١٦ – ٢٠١٧م / إشراف أد. السعيد هادف .
٨٩- المجددون في الإسلام / أمين الخولي / ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠١٧م.
٩٠- المجددون في الإسلام/ عبد المتعال الصعيدي / نشر مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع / ط. الأولى سنة ٢٠٠٦م.
٩١- المجلة الأردنية للتاريخ والآثار / المجلد السادس – العدد الثاني

سنة ٢٠١٢م.

٩٢- المحيط بالتكليف/ القاضي عبد الجبار/ جمع الحسن بن أحمد بن متويه – تحقيق . عمر السيد عزمي – مراجعة د. أحمد فؤاد الأهواني / ط. الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٩٣- المحيط في أصول الدين / ابن منتويه/ ط. مؤسسة الإمام زيد بن علي.

٩٤- المشكلات الكبرى فى الفلسفة اليونانية / أولف جيجن / ترجمة .عزت قرنى / ط. دار النهضة العربية بالقاهرة سنة ١٩٧٦م.

٩٥- المعتزلة / زهدى جار الله / ط. مطبعة مصر بالقاهرة سنة ١٩٤٧م.

٩٦- المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها / د. عواد بن عبد الله المعتق/ ط. مكتبة الرشد / ط. الثانية سنة ١٩٩٥م.

٩٧- المعجم الفلسفى / مجمع اللغة العربية / تصدير د. إبراهيم مدكور / ط. الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية سنة ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٩٨- المعجم الفلسفى / د. جميل صليبا / ط. دار الكتاب اللبنانى ببيروت سنة ١٩٧٩م.

٩٩- المعجم الفلسفى / د. مراد وهبه / ط. دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع سنة ١٩٩٨م.

١٠٠-المعجم الوسيط / مجمع اللغة العربية / ط. مكتبة الشروق الدولية بالقاهرة / ط. الرابعة سنة ٢٠٠٤م.

١٠١-المغرب عبر التاريخ/ د. إبراهيم حركات /ط . دار الرشاد الحديثة

سنة ٢٠٠٠م.
١٠٢-المغني في أبواب التوحيد والعدل/ القاضي عبد الجبار/ ط. المؤسسة المصرية للتأليف والنشر.
١٠٣-الملل والنحل/ الشهرستاني/ تحقيق . عبد العزيز محمد الوكيل/ ط. مؤسسة الحلبي.
١٠٤-المنطق / الشيخ محمد رضا المظفر / ط. دار التعارف للمطبوعات ببيروت / ط. الثانية سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
١٠٥-المهدى المنتظر / محمد آل ياسين / ط. المكتب العالمى للطباعة والنشر ببيروت .
١٠٦-المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار / المقريزى / ط. مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة.
١٠٧-المواقف/ الإيجي/ ط . مكتبة المتنبي بالقاهرة.
١٠٨-الموسوعة الصوفية / د. عبد المنعم الحفنى / ط. دار الرشاد / ط. الأولى سنة ١٤١٢هـ.
١٠٩-الموسوعة الفلسفية / د. عبد المنعم الحفنى / ط. دار ابن زيدون ببيروت ومكتبة مدبولى بالقاهرة / ط. الأولى.
١١٠-الموسوعة الفلسفية / مجموعة من العلماء السوفيتيين / إشراف روزنتال ، ويودين / ترجمة . سمير كرم / ط. دار الطليعة ببيروت.
١١١-الموسوعة الفلسفية / لالاند / ترجمة د. خليل أحمد خليل / ط. منشورات عويدات ببيروت سنة ١٩٩٦م.
١١٢-الموسوعة الفلسفية السوفيتية / موسكو / ط. دار الطليعة للطباعة والنشر ببيروت سنة ١٩٨٣م.

١١٣-الموسوعة الفلسفية المختصرة / فؤاد كامل وآخرون / مراجعة د. زكى نجيب محمود / ط. دار القلم ببيروت.
١١٤-الميتافيزيقا (العلم والأيديولوجيا) / عبد السلام بن عبد العالى / ط. دار الطليعة ببيروت / ط. الثانية سنة ١٩٩٣م.
١١٥-النجاة / ابن سينا / ط. مطبعة السعادة بالقاهرة / ط. الثانية سنة ١٩٣٨م.
١١٦-النجوم الزاهرة/ ابن تغري بردي/ ط. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة.
١١٧-النهاية فى غريب الحديث والأثر/ ابن الأثير / تحقيق . طاهر الزاوى/ ط. المكتبة العلمية ببيروت .
١١٨-الوافي بالوفيات/ الصفدي/ ط . دار إحياء التراث.
١١٩-تاج العروس / الزبيدى / ط. دار الهداية .
١٢٠-تاريخ الإسلام / الذهبى / تحقيق د. بشار عواد / ط. دار الغرب الإسلامى ببيروت / ط. الأولى سنة ٢٠٠٣م.
١٢١-تاريخ الترك في آسيا الوسطى/ بارتولد / ط. مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٥٨م.
١٢٢-تاريخ الجامع الأزهر/ محمد عبد الله عنان / ط. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر / ط. الأولى سنة ١٣٦١هـ.
١٢٣-تاريخ الدعوة الإسماعيلية/ د. مصطفى غالب / ط. دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت.
١٢٤-تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام / د. محمد علي أبو ريان / ط. دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية سنة ١٩٨٠م.

١٢٥-تاريخ الفلسفة الإسلامية / هنرى كوربان / ترجمة د. مروة نصير، وحسن قبيسى / نشر عويدات – بيروت سنة ١٩٨٣م.
١٢٦-تحفة المريد علي جوهرة التوحيد/ إبراهيم الباجوري / ط. دار الكتب العلمية ببيروت .
١٢٧- تشنيف المسامع بجمع الجوامع/ بدر الدين الزركشي/ تحقيق د. سيد عبد العزيز، ود. عبد الله ربيع / ط. مؤسسة قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي / ط. الأولى سنة ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.
١٢٨-تاريخ بغداد / الحافظ البغدادى (ت سنة٤٦٣هـ) / ط. مطبعة السعادة بالقاهرة / ط. الأولى سنة ١٣٤٩هـ .
١٢٩-تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام الأشعرى / ابن عساكر / ط. الكتاب العربى ببيروت / ط. الثالثة سنة ١٩٨٤م.
١٣٠-تحفة المهتدين بأخبار المجددين (بهامش التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة) / السيوطى / تحقيق . عبد الحميد منير / نشر دار الثقافة للنشر والتوزيع بمكة المكرمة / ط. الأولى سنة ١٤١٠هـ .
١٣١-ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك / القاضي عياض / تحقيق د. محمد بتشريفة / ط. وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية.
١٣٢-تطور المذهب الأشعري فى الغرب الإسلامى / د. يوسف احنانة / ط. مطبعة اليدينى بالرباط سنة ٢٠٠٣م.
١٣٣-تفسير السمرقندي (بحر العلوم) / أبو الليث السمرقندي ت

٣٧٥هـ / تحقيق د. زكريا عبد المجيد النوتي / ط. دار الكتب العلمية ببيروت سنة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
١٣٤-تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير/ ط. دار طيبة سنة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
١٣٥- تمهيد للفلسفة / د. محمود حمدى زقزوق / ط. دار المعارف بمصر .
١٣٦-تهذيب الآثار/ الطبري / تحقيق. محمود محمد شاكر / ط. مطبعة المدني بالقاهرة.
١٣٧-تهذيب اللغة / الأزهرى / ط. دار الكتاب العربي سنة ١٩٦٧م.
١٣٨-جامع العلوم والحكم / ابن رجب الحنبلي /ط. مؤسسة الرسالة سنة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
١٣٩-جامع بيان العلم وفضله /ابن عبد البر/ تحقيق. أبى الأشبال الزهيري/ ط. دار ابن الجوزي بالدمام / ط. الأولى سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
١٤٠- حسن المحاضرة / السيوطى / تحقيق . محمد أبو الفضل إبراهيم / ط. القاهرة سنة ١٩٧٦م.
١٤١-خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل/ محمد بن إسماعيل البخاري / تحقيق . فهد بن سليمان الفهيد / نشر دار أطلس الخضراء بدمشق/ ط. الأولى سنة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
١٤٢-دائرة معارف القرن الرابع عشر / محمد فريد وجدى / ط. مطبعة الواعظ بمصر سنة ١٣٢٩هـ.
١٤٣-درء تعارض العقل والنقل/ ابن تيمية / تحقيق د. محمد رشاد سالم/

ط. مطبعة بولاق بالقاهرة سنة ١٩٧١م.
١٤٤- دراسات فى الفلسفة الحديثة / د. زكريا إبراهيم / ط. مكتبة مصر بالقاهرة.
١٤٥-دعوة التوحيد / د. محمد خليل هراس / ط. دار الكتب العلمية ببيروت / ط. الأولى سنة ١٤٠٦هـ .
١٤٦-دولة السلاجقة/ د. على الصلابي/ ط. دار ابن الجوزي بالقاهرة .
١٤٧-رسائل في التوحيد/ العز بن عبد السلام / تحقيق. إياد خالد الطباع/ ط. دار الفكر المعاصر ببيروت / ط. الأولى سنة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
١٤٨-رسالة التوحيد / الإمام محمد عبده المصرى / ط. المطبعة الأميرية الكبرى ببولاق مصر المحمية - نشر دار المعارف بمصر / ط. الأولى سنة ١٣١٥هـ .
١٤٩-رسالة الحرة / الباقلاني /تعليق الشيخ . زاهد الكوثري/ ط. مكتبة الثقافة الإسلامية بالقاهرة سنة ١٩٥٠م.
١٥٠-رسالة إلى أهل الثغر/ الأشعري/ تحقيق د. محمد السيد الجليند/ ط. دار اللواء للنشر والتوزيع بالرياض سنة ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
١٥١-سير أعلام النبلاء / الذهبى / تحقيق الشيخ . شعيب الأرناؤوط / نشر مؤسسة الرسالة / ط. الثالثة سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
١٥٢-شجرة النور الزكية في طبقات المالكية / محمد بن محمد مخلوف / تحقيق . على عمر / ط. مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة / ط. الأولى سنة ٢٠٠٦م.
١٥٣-شرح الإرشاد في علم الكلام / أبو القاسم الأنصاري ت. ٥١٢هـ .

(أصل الكتاب مفقود ، ويقال إن له نسخة بخزانة القرويين بفاس).
١٥٤-شرح الأصول الخمسة / القاضي عبد الجبار / تحقيق د. عبد الكريم عثمان / ط. مطبعة الاستقلال الكبرى – نشر مكتبة وهبة / ط. الأولى سنة ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٥م.
١٥٥-شرح السنة / المزني/ تحقيق. جمال عزون / ط. مكتبة الغرباء الأثرية بالسعودية / ط. الأولى سنة ١٤١٥هـ.
١٥٦-شرح العقيدة الطحاوية/ ابن أبي العز /ط. المكتب الإسلامي ببيروت/ ط. التاسعة سنة ١٤٠٨هـ.
١٥٧-شرح العقيد الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية / الشيخ محمد الصالح العثيمين / ط. دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع بالسعودية / ط. السادسة سنة ١٤٢١هـ.
١٥٨-شرح المواقف / الجرجاني/ ط. دار الكتب العلمية ببيروت / ط. الأولى سنة ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
١٥٩- شرح المقاصد / سعد الدين التفتازانى / تحقيق د. عبد الرحمن عميرة / ط. عالم الكتاب ببيروت / ط. الأولى سنة ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م .
١٦٠-شرح النووي على صحيح مسلم/ يحيي بن شرف أبو زكريا النووي / ط. دار الخير سنة ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.
١٦١-شذرات الذهب / ابن العماد الحنبلى / ط. دار المسيرة ببيروت سنة ١٩٧٩م.
١٦٢-شفاء العليل / ابن القيم / ط. دار المعرفة ببيروت .
١٦٣-طبقات الشافعية الكبرى / السبكى / تحقيق . محمود الطناحى ،

وعبد الفتاح الحلو / ط. مطبعة الحلبى بالقاهرة .
١٦٤-طبقات المفسرين / الداودي/ ط. دار الكتب العلمية ببيروت سنة ٢٠١٢م.
١٦٥-طوالع الأنوار من مطالع الأنظار/ البيضاوي / تحقيق. عباس سليمان / ط. المكتبة الأزهرية للتراث بالقاهرة / ط. الأولى سنة ٢٠٠٧م.
١٦٦- ظهر الإسلام / أحمد أمين / ط. مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة بالقاهرة سنة ٢٠١٢ م.
١٦٧-عقائد الأشاعرة (في حوار هادئ مع شبهات المناوئين) / د . صلاح الدين الأدلبي / ط. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة / ط. الثانية سنة ٢٠٠٨م .
١٦٨-عقيدة الإمام الأشعري / مصطفى عبد الرحمن العطاس / ط. دار الأصول بحضرموت سنة ٢٠٠٦م.
١٦٩-عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي / المقدسي / تحقيق. عبد الله محمد البصيري/ ط. مطابع الفردوس بالرياض / ط. الأولى سنة ١٤١١هـ.
١٧٠-علم البديع / محمود المراغي / ط. دار النهضة العربية للطباعة والنشر ببيروت سنة ١٩٩٩م.
١٧١-علم الكلام ومدارسه / د. فيصل بدير عون / ط. دار الثقافة للنشر والتوزيع بالقاهرة / ط. الأولى سنة ١٩٧٦م.
١٧٢-عيون المناظرات / عمر السكونى / تحقيق . سعد غراب / ط. منشورات الجامعة التونسية سنة ١٩٧٦م.

١٧٣-فتح الباري شرح صحيح البخاري / الحافظ بن حجر العسقلاني/ ط. المكتبة السلفية بالرياض سنة ١٣٧٩هـ.
١٧٤-فجر الإسلام / أحمد أمين / ط. مكتبة النهضة المصرية.
١٧٥-فرق الشيعة / النوبختي / تعليق. السيد محمد صادق / ط. المطبعة الحيدرية بالنجف سنة ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م.
١٧٦-فرق وطبقات المعتزلة / د. على سامي النشار/ ط. دار المطبوعات الجامعية سنة ١٩٧٢م.
١٧٧-فضائح الباطنية / الغزالي/ تحقيق د. نادي فرج درويش / ط. المكتب الثقافي بالجامع الأزهر.
١٧٨-فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة / القاضي عبد الجبار – أبي القاسم البلخي – الحاكم الجشمي / تحقيق. فؤاد سيد / ط. الدار التونسية سنة ١٩٧٤م.
١٧٩-فلسفة العلم / د. صلاح قنصوه / ط. مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٣م.
١٨٠-فلسفة الفكر الدينى / لويس غرديه ، وجورج قنواتى / ترجمة د. صبحى الصالح ، ود. فريد جبر / ط. دار العلم للملايين ببيروت سنة ١٩٧٨م.
١٨١-في أصول الحوار وتجديد علم الكلام / طه عبد الرحمن / ط. المركز الثقافى العربى / ط. الثانية سنة ٢٠٠٠م.
١٨٢-فى الفلسفة الإسلامية (منهج وتطبيقه) / د. إبراهيم مدكور / ط. دائرة المعارف بمصر / ط. الثالثة سنة ١٩٧٦م.
١٨٣-فى علم الكلام (الأشاعرة) / د. أحمد محمود صبحى / ط. مؤسسة الثقافة الجامعية بالإسكندرية سنة ١٩٧٨ م.

١٨٤-قواعد المنهج السلفى / د. مصطفى حلمى / ط. دار الدعوة بالإسكندرية / ط. الثانية سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.
١٨٥-قيام دولة الموحدين/ د. عقيلة الغناي / منشورات جامعة قاريونس.
١٨٦- كانط وفلسفته النظرية / د. محمود زيدان / ط. دار المعارف بالقاهرة / ط. الثالثة سنة ١٩٧٩م.
١٨٧-كشف الغمة في معرفة الأئمة / علي بن عيسى الإربلي / مكتبة بني هاشمي – تبريز سنة ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م .
١٨٨-كفى تفريقًا للأمة باسم السلف / د. عمر عبد الله كامل / ط. دار الرازي للطباعة والنشر والتوزيع بالأردن/ ط. الثالثة سنة ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
١٨٩-لسان العرب / ابن منظور / ط. دار المعارف بالقاهرة / ط. الأولى.
١٩٠-لباب التأويل في معاني التنزيل / الخازن / ط. مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر / ط. الثانية سنة ١٣٧٥هـ - ١٩٩٥م.
١٩١-لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة / الجويني / تحقيق د. فوقية حسين محمود / ط. الهيئة المصرية للتأليف والأنباء والنشر سنة ١٩٦٥م.
١٩٢-لوامع الأنوار البهية / السفاريني/ ط. المكتب الإسلامي ببيروت- دار الخاني بالرياض / ط. الثالثة سنة ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
١٩٣-مجموعة الرسائل والمسائل/ ابن تيمية / ط. دار الكتب العلمية ببيروت / ط. الأولى سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
١٩٤-محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين / الرازى / تحقيق . طه عبد الرؤوف سعد / ط. مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة .

١٩٥-مختار الصحاح/ الرازي/ تحقيق . أحمد العوامري/ ط. المطبعة الأميرية بالقاهرة / ط. السابعة سنة ١٣٥٣هـ.
١٩٦-مختصر شرح العقيدة الطحاوية/ علي بن محمد أبي العز الخفي / تحقيق . محمد ناصر الدين الألباني/ ط. دار عمر بن الخطاب بالإسكندرية.
١٩٧- مدارج السالكين / ابن القيم / تحقيق . محمد حامد الفقى / ط. دار الكتاب العربى ببيروت سنة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
١٩٨- مدارس علم الكلام في الفكر الإسلامي (المعتزلة- الأشاعرة) / د. خالد حربي/ ط. المكتب الجامعي الحديث بالإسكندرية سنة ٢٠١٠م.
١٩٩-مرآة الجنان وعبرة اليقظان / اليافعى اليمنى / ط. حيدر آباد الدكن بالهند .
٢٠٠- مسائل الاعتقاد عند القرطبي/ د. كمال الدين مرجوني/ ط. مؤسسة العلياء للنشر والتوزيع بالقاهرة/ ط. الأولى سنة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .
٢٠١-مشكلة الفلسفة / د. زكريا إبراهيم / ط. مكتبة مصر سنة ١٩٧١م.
٢٠٢- معتقد الإمام أبى الحسن الأشعرى ومنهجه / د. عمر سليمان عبد الله الأشقر / ط. دار النفائس للنشر والتوزيع بالأردن - عمان / ط. الأولى سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
٢٠٣-معجم الألفاظ الأجنبية فى اللغة الروسية / موسكو سنة ١٩٨٤م.
٢٠٤- معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة / ط. دار إحياء التراث العربى ببيروت .
٢٠٥-معجم مقاييس اللغة / ابن فارس / تحقيق. عبد السلام هارون / ط.

دار الفكر للطباعة والنشر.

٢٠٦- معيار العلم / الغزالى / تحقيق د. سليمان دنيا / ط. دار المعارف بالقاهرة / ط. الثانية سنة ١٩٦٩م.

٢٠٧-مفاتيح الغيب / الرازى / ط. دار إحياء التراث العربى ببيروت / ط. الثالثة سنة ١٤٢٠هـ .

٢٠٨-مفتاح السعادة / طاش كبرى زادة / تحقيق كامل كامل بكرى ، وعبد الوهاب أبو النور / ط. دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد الدكن بالهند ، و ط. دار الكتب الحديثة بعابدين – القاهرة .

٢٠٩-مفهوم النسق فى الفلسفة (الإشكالات والخصائص) / د. سليمان أحمد الضاهر / مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة دمشق / المجد الثلاثون – العدد الثالث والرابع سنة ٢٠١٤ م.

٢١٠-مقالات الإسلاميين / الأشعرى / تحقيق . محمد محى الدين عبد الحميد / ط. مكتبة النهضة المصرية / ط. الأولى سنة ١٩٥٠م .

٢١١-مقدمات الفلسفة / عادل العوا / ط. مطبعة خالد بن الوليد سنة ١٩٨٩ م.

٢١٢- مقدمات فلسفية / د. على عبد المعطى محمد / ط. دار المعرفة الجامعية سنة ٢٠٠٢م.

٢١٣-مقدمة ابن خلدون / عبد الرحمن بن خلدون المغربى / ط. دار الشعب بالقاهرة .

٢١٤- من سقراط إلى سارتر / ت . ز . لازفين / ترجمة . أشرف محمد كيلانى – مراجعة. سعيد توفيق / ط. المركز القومى للترجمة / ط. الأولى سنة ٢٠١٢م.

٢١٥-مناهج الأدلة/ ابن رشد / تحقيق د. محمود قاسم / ط. مكتبة الأنجلو المصرية / ط. الثانية سنة ١٩٦٤م.
٢١٦- منهاج السنة النبوية / ابن تيمية / نشر مكتبة الرياض الحديثة بالسعودية – مكتبة الجمهورية بالقاهرة .
٢١٧-من لا يحضره الفقيه/ الشيخ. أبو جعفر القمي ت ٣٨١هـ / تعليق. علي أكبر الغفاري/ منشورات جماعة المدرسين.
٢١٨-موسوعة الفرق والجماعات / د. عبد المنعم الحفنى / ط. دار الرشاد بالقاهرة / ط. الأولى سنة ١٩٩٣م.
٢١٩-موسوعة الفرق والمذاهب الإسلامية / سعد رستم / ط. مطبعة الأوائل للنشر بدمشق / ط. الثالثة سنة ٢٠٠٥م.
٢٢٠-موسوعة المستشرقين / د. عبد الرحمن بدوى / ط. دار العلم للملايين ببيروت / ط. الثالثة سنة ١٩٩٣م.
٢٢١-موسوعة عباقرة الإسلام / د. محمد أمين فرشوخ/ ط. دار الفكر العربي سنة ١٩٦٦م.
٢٢٢-ميزان الاعتدال فى نقد الرجال / محمد بن أحمد الذهبى / تحقيق . على محمد البجاوى / ط. القاهرة سنة ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م .
٢٢٣-نشأة الأشعرية وتطورها / د. جلال محمد موسى / ط. دار الكتاب اللبنانى ببيروت / ط. الأولى سنة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .
٢٢٤- نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام / د. على سامى النشار / ط. دار المعارف بمصر / ط. الثالثة سنة ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
٢٢٥- نشر المثاني/ القادري/ تحقيق . محمد حجي / نشر مكتبة الرباط/ ط. الأولى سنة ١٩٧٧م.

٢٢٦-نهاية الإقدام في علم الكلام / الشهرستاني / ط. القاهرة – نشرة جيوم .
٢٢٧-هدي الساري مقدمة فتح الباري / الحافظ بن حجر العسقلاني / ط. دار الطباعة المنيرية بالقاهرة سنة ١٣٤٧هـ .
٢٢٨-هدية العارفين/ البغدادي/ ط. دار إحياء التراث العربي .
٢٢٩-وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة / الشيخ. محمد بن الحسن حر العاملي ت ١١٠٤هـ / تحقيق. عبد الرحيم الشيرازي/ ط. المكتبة الإسلامية بطهران سنة ١٣٩٧هـ.
٢٣٠-وفيات الأعيان / ابن خلكان / تحقيق د. حسن عباس/ ط. دار صادر ببيروت سنة ١٣٩٨هـ.